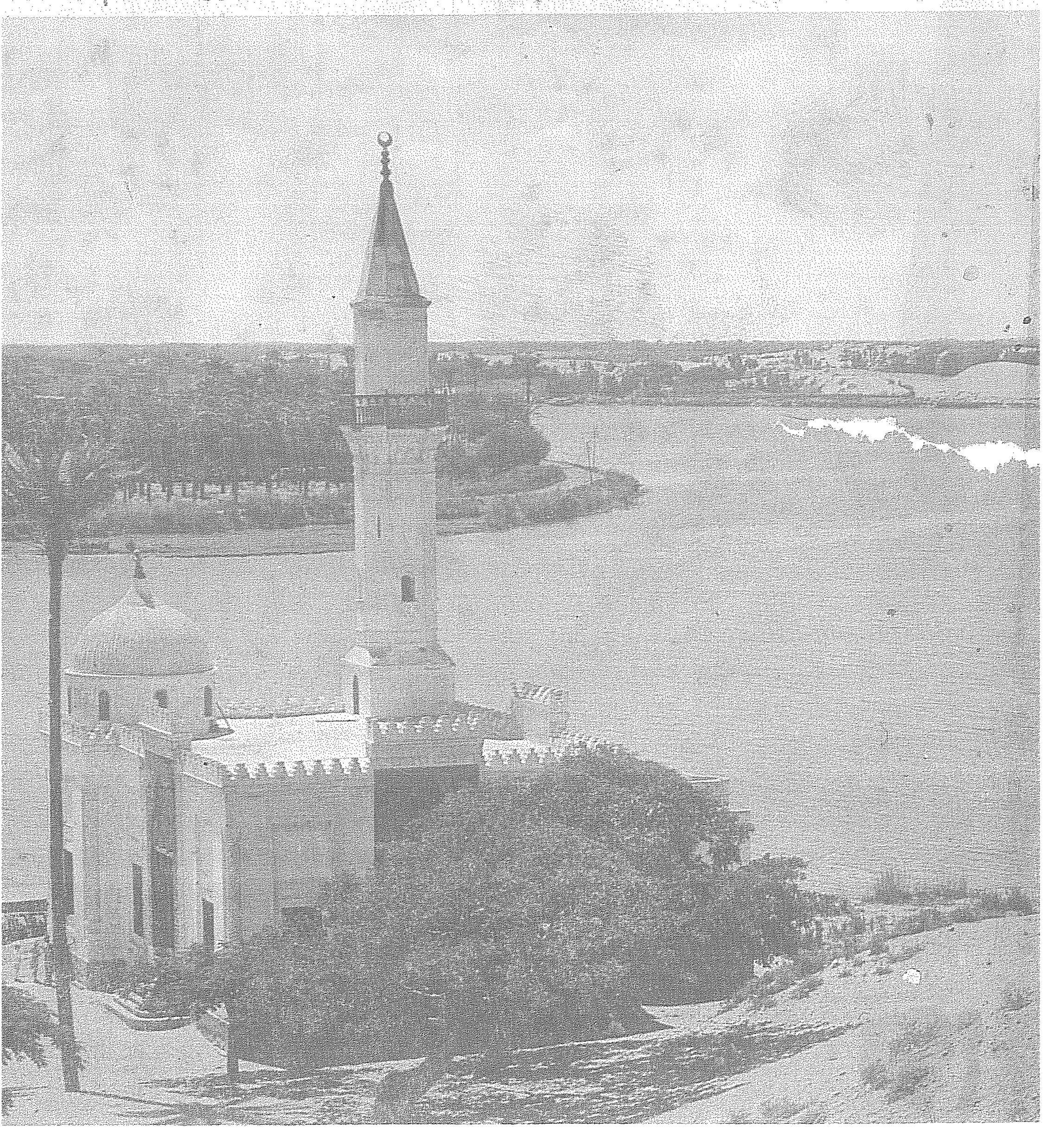
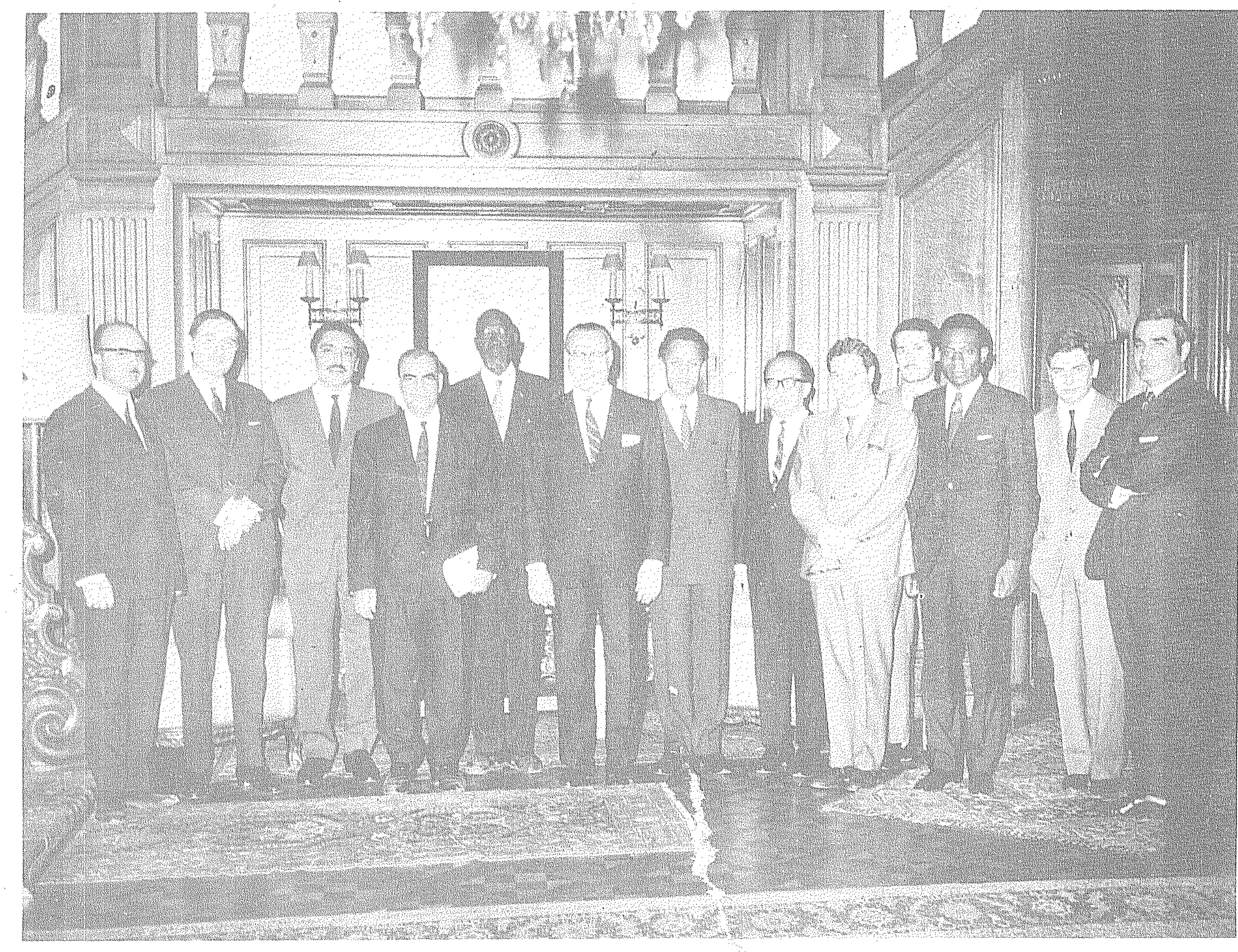
الوعي الإسلامي

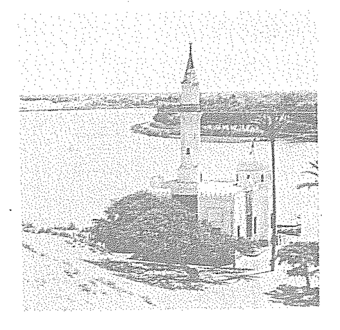
إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٦٥ ـ جماد الأول ١٣٩٠هـ ـ ٤ يوليو (تموز) ١٩٧٠م





سعادة عبد الله المشارى الر سان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أثناء اجتماعه بعدد
من السفراء العرب وسفراء الدول الاسلامية فى بلجيكا فى مبنى السفارة السعودية .



مسجد ابى النظر الشهيد بمسجد « ابو مندور » وهو من سلالة الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وقد جاء ابو مندور الى رشيد على فرع النيل وعاش ومات ودفن فى ارضها فبنى الأهالى هـذا المسجد الـذى سمى باسمه عام ١٠٠٢ ميلاديـة وجدد سنة ١٨٨٩ م .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السـنة السادسة

العدد الخامس والستون

جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ

٤ يوليو « تمـوز » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقـاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـن

الكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العـراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجزائـر		دينـار وربـع
المغرب		درهم وربـع
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

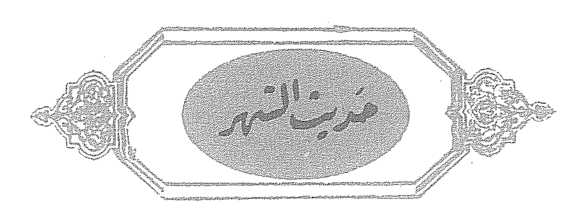
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسـترليني)
اما الافـراد فيشـتركون راسـا
مـع متعهد التـوزيع كل فى قطره

عنـوان المراسلات

مديـر ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشـئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



حدود غير آمنة

لا يستطيع احد ممن اوتى علم الكتاب ان ياتى بنص على وعد إلهى فى القرآن الكريم ، او فى اى كتاب من الكتب المنزلة السابقة يعطى لليهود الحق فى حكم فلسطين ، او انشاء وطن قومى لهم فيها .

والذى جاء فى الأسفار التى يقدسها اليهود من أن الرب منحهم ارض فلسطين وما جاورها الى الأبد — هو مما كتبته ايديهم افتراء على الله .

وكتابنا يتحدث عنهم حديثا طويلا مفصلا . حديثا يكشف نواياهم ، ويفضح سوءاتهم فهم ضائعون تائهون . ممزقون كل ممزق ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما كانوا . لا وطن يضمهم فى امان ، ولا علم يرفرف عليهم فى سلام . اذا استقروا فى ارض افسدوا فيها ، واذا افسدوا سلط الله عليهم عبادا له اولى باس شديد يذيقونهم الوان العذاب ، ويستمر هذا حالهم بين الافساد والاجرام ، وبين العقاب والانتقام «واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب» .

والناظر فى تاريخ الأمم والشعوب قديما وحديثا لا يستطيع الا أن يقطع بأن الشعب اليهودى هو الشعب الوحيد دون شعوب اهل الأرض الذى حرم الأمن والاستقرار لأنه ظل فى صراع دموى مستمر مع جميع الأمم التى آوى اليها فلم يكن له فى يوم من الأيام وطن هادىء ، ولا جزء من وطن ، ولا حدود آمنة .

والوطن العربى المسلم الذى اغتصبته العصابات اليهودية من اهله العرب المسلمين لن يخلص للمغتصبين ابدا ، والأرض الفلسطينية التى اقامت

اسرائيل فيها دولتها بقوة الحديد والنار ستظل حقلا الألغام المتفجرة ، وبركانا يفور ويثور ، ويقذف باللهب والحمم حتى تطهر الأرض المباركة من رجز الغازين المعتدين ، وتعود بقوة الحق وقوة السلاح لأصحابها الشرعيين .

ان قضايا الأمم والشعوب المصيرية غير قضايا الأفراد ، فقضية الفرد يحكم فيها غيره ، وقد يكون الحكم جائرا ، فيسلم الفرد ، ويخضع ، وينتزع الحق منه ، ويعطى لغيره ، ثم يموت ، فيموت الحق فى دنيا الناس بموت صاحبه الى أن يسترده بين يدى الله احكم الحاكمين.

اما قضايا الشعوب فلا يقضى فيها من خارجها ، وانما يفصل فيها الشعب نفسه واذا عجز عن استرداد حقه اليوم فلا يعجز عنه فى الغد ، وسينتصر ويكسب القضية ويسترد حقه مهما تطاول الزمان ، لأن الشعوب لا تموت ، فقضية جيل اليوم هى قضية جيل الغد هى قضية الأجيال اللاحقة ، وكل جيل يورث لاحقه المطالبة بحقه ، ويحمله تبعات الدفاع عنه والوصول اليه ، ولن تهدأ الأجيال الثائرة حتى تنتزع الحق انتزاعا وتستولى عليه بقوة التضحية والفداء .

لقد وقعت فلسطين فى قبضة الغزاة الصليبيين ، وظلت تحت حكمهم قرابة مائة عام وسلمت دول العالم يومئذ بالأمر الواقع ، فهل كان للغزاة فى هذه الأرض التى اغتصبوها حدود آمنة طوال هذه الفترة ؟ وهل غير اعتراف الدول وتسليمها بالأمر الواقع من الحق شيئا ؟

لقد نهضت الأمة العربية والاسلامية باسم (الله) ووقفت صفا واحدا فى وجه الزحف الغاشم والاحتلال الأثيم ، وعبأت كل قواها الروحية ، وحشدت كل طاقاتها المادية ، وتحملت مغارم الجهاد فى سبيل انقاذ الوطن المغصوب ، واسترداد الشرف المسلوب ، وكان لها ما أرادت بقوة الله الذى يحق الحق ويبطل الباطل ، وعادت فلسطين أرضا عربية اسلامية ترفرف عليها راية التوحيد من جديد ، واندحر المعتدون يجرون أذيال الخزى والخذلان .

من واقع الحقائق السابقة : حيث لا نص إلهى بمنح اليهود أرض الميعاد، ومعاداتهم لجميع شعوب أهل الأرض فى مختلف العصور والأمكنة ، واشتباكهم معها فى صراع دموى مستمر ، وحق الشعب وحده فى تقرير مصيره ، وعدم شرعية الاعتراف بالأمر الواقع القائم على العنف والقهر ، وسقوط التملك بالغزو ... من هذا كله نستطيع أن نؤكد :

١ — أن اسرائيل ليست دولة شرعية .

٢ — أن اعتراف الدول الأعداء والأصدقاء بها لا يغير من الحق شيئا .

٣ — أن الشعب الفلسطيني هو وحده صاحب الحق فى تقرير مصيره .

٤ — أن الشعب لن يموت ، وسيسترد حقوقه ان عاجلا أو آجلا ما دام يواصل الجهاد ويستعذب التضحيات ويقدم الفداء .

ستظل اسرائيل بلا حدود آمنة ... ستبقى في العراء يلفها الذعر ، وان احتوتها المستعمرات ، وأظلتها

الطائرات وحرستها الدبابات ، وساندتها القوى الاستعمارية الظالمة ... واى حدود تلك تطالب بها اسرائيل : حدود سنة ٤٨ التى وافقت عليها الهيئات الدولية ذات المصالح الاستعمارية فى المنطقة .. حدود ما قبل ٦٧ التى خرست عنها تلك الهيئات ... حدود ما بعد سنة ٦٧ التى اختلف عليها الأعداء والأصدقاء ... لقد نقلت اسرائيل خطوطها وحدودها ثلاث مرات وفى كل مرة تزيد فى المساحة وتزداد فى القسوة والوحشية . ليس هناك فارق بين الأراضى المحتلة قبل ٤٨ وقبل ٦٧ وبعدها .. ليس هناك فارق بين القدس القديمة والقدس الجديدة ، ولا بين حيفا وسيناء ، ولا بين تل ابيب ومرتفعات الجولان . كلها ارض عربية اسلامية لا حق لليهود فى شبر منها ، ولا تملك اى هيئة دولية القضاء فيها بانتزاع جزء منها لاسرائيل . وكل حكم لها سابق او لاحق يقضى بغير الحق باطل شرعا وقانونا لا يكسب المحكوم له حقا ليس له ، ولا يمنع المحكوم عليه حقا هو له . وستبقى اسرائيل بلا حدود آمنة ما بقيت اسرائيل فى أرض العرب وما دام فى اكناف الأرض مسلم يقول لا إله الا الله محمد رسول الله .

الحدود الآمنة :

والحديث عن الحدود الضائعة التى يطالب العدو بتامينها يستلزم الحديث عن الحدود الحقيقية الآمنة التى يجب ان يعيش المسلمون فى اطارها ... وليس المقصود بها الحدود المادية التى تحد الدول شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا الحدود الطبيعية من جبال وبحار وصحراء ، ولا الخطوط والاستحكامات الحربية التى تصد غارات المغيرين .. فما قيمة كل هذه الحدود اذا كانت الأمة التى تحيا وراءها امة شغل ابناؤها عنها بملذاتهم وشهواتهم وضنوا عليها بجهدهم وعرقهم ، وآثروا الحياة الفارغة الذليلة على الحياة الجادة العزيزة .

اصحابها عنها بملذاتهم وشهواتهم وضنوا عليها بجهدهم وعرقهم ، وآثروا الحياة الفارغة الذليلة على الحياة الجادة العزيزة ..

اذا انحدرت امة الى هذا الدرك من المهانة تحطمت حدودها وتخطفتها الأمم من حولها .

فالثروة فى يد السفيه المتلاف مفسدة ، والقوة العضلية فى جسد الأحمق مهلكة ، والمدفع مع الجبان هزيمة محققة ومن اجل هذا كان تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدواء التى تهلك الأمة ، وتجعل حماها مستباحا لكل طامع فقال : يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل افق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال ثوبان راوى الحديث : قلنا يا رسول الله : أمن قلة بنا يومئذ قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت .

الخط الحصين الذى يحمى الأمة فى الداخلمن نفوسها ، وفى الخارج من عدوها هو العقيدة القوية القائمة على العقل الواعى والقلب المطمئن

والعاطفة المحركة (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

العقيدة التي تسيطر على الجهاز العصبي في المؤمن ، فتصدر عنها الأفعال والأقوال ، وتوجه الارادة الانسانية وفق مقتضاها ومتطلباتها ، وتضبط الهوى والرغبات (لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) العقيدة التي تلتزم بحدود الله ، وتعف عن محارم الله وتسير الفرد والمجتمع في خط مستقيم لا ينحرف ، ولا يزيغ ، فالعقيدة هي اساس قوة الفرد وقوة المجتمع ، وهي السياج الواقي للأمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا ايها الناس هلموا ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم .

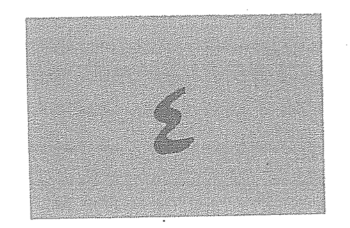
ولكي يبقى العدو بلا حدود آمنة ، بل لكي يزول وجوده من ارضنا يجب أن تكون لنا حدود آمنة يقوم على حراستها رجال اشداء الايمان لا يخافون في الله لومة لائم يطهرون المجتمع من عوامل الانهيار ، ويأخذون على يد العابثين بمقدرات الامة ، ويوجهون الطاقات كلها لتزكية نفوسها وتقوية صفوفها ، وحشد قواها . يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون في وجه المنحرف ، ويأطرونه على الحق اطرا ، ولا يكفي لحماية الأمة وتامين حدودها انغلاق اصحاب العقيدة على انفسهم وقناعتهم باستقامة شئونهم وحدهم ، فان الفتنة تعم ولا تخص (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وتجسيدا لهذا الواجب يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها ، وبعضهم اسفلها ، فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا .

فالعقيدة ، وتجنيد الطاقات ، وحماية الأمة من عوامل التحلل حدود منيعة تحمي العباد والبلاد ، وذلك بقوة الله وتوفيقه ما تتحصن به امتنا العربية في معركتها الحاضرة ، وصدق الله ((الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)) .

ابراهيم النملي

مدير ادارة الدعوة والارشاد

المادية في مظاهرها وآثارها



آثارها في جرائم المجتمع

للدكتور : محمد البهي

ان الجرائم الاجتماعية هي ما يعبر عنها القرآن الكريم بالفحشاء ، او الفاحشة ، والمنكر ، أو كبائر الاثم ، هى تلك التى تصور اعتداء على العرض ، والمال ، والنفس ، وتتعدى من تقع عليه الى المجتمع ككل .

اما الجريمة التى تتصل بالعقيدة فهى جريمة الشرك فى العبادة ، او التقول على الله بغير حق وعلم .

وهناك اذن أربع دوائر فى حياة الانسان والمجتمع يجب أن تصان من الاعتداء عليها ، وهى دوائر : العرض ، والمال ، والنفس ، والاعتقاد ، والاعتداء على أية واحدة منها هو اعتداء فى الواقع على المجتمع ككل ، وليس اعتداء على فرد ، وان اتصل الاعتداء فى وقوعه بفرد أو بأفراد .

فالمجتمع لا يكون مجتمعا ، والأمة لا تصير أمة بعدد الافراد أو بمكان سكناهم واقامتهم ، وانما بالروابط بينهم ، وهى روابط تحفظ عليهم أعراضهم ، وأموالهم ، ودماءهم ، وعقيدتهم وايمانهم ، ومن هنا : كان الاعتداء على أى من هذه الجوانب هو اعتداء على مقومات المجتمع والأمة ، ولذا كان أى اعتداء منها جريمة اجتماعية وليس جريمة فردية ، فى نظر القرآن الكريم .

ولخطورة هذه الجرائم جاء القرآن بتحديد عقوبات لها — دون غيرها من الانحرافات فى السلوك — ولم يدع الجزاء عليها محلا لتقدير الانسان فى أى وقت أو فى أى عصر :

فهناك نص على حد الزنا وهو الاعتداء على العرض .

وهناك نص آخر على حد السرقة وهو الاعتداء على المال .

وهناك نص على حد القتل وهو الاعتداء على النفس .

وهناك نص على ما يتخذ ضد الشرك وهو الاعتداء على العقيدة والايمان.

ولعناية الاسلام بصيانة هذه الجوانب فى حياة الانسان — وهى عناية ملحوظة منذ بدء الرسالة الالهية حتى ختمها — أصبحت لهذه الجوانب حرمة تحول دون أن تمس ، وهى حرمة فى حقيقة الأمر تعود الى قيمة الفرد ، اذ قيمة الفرد فى استقلال ذاته ، وهذا الاستقلال يتميز بحق عدم المساس بالعرض ، وحق الاحتفاظ بالمال ، وحق صيانة النفس ، وحق حرية الاعتقاد ، ولا تستحل هذه الحقوق اطلاقا الا فى ظل مجتمع انسانى لا يحرص على القيم الانسانية فى العلاقات والسلوك بين أفراده .

وقد سلك القرآن الكريم ازاء هذه الجرائم للحيلولة دونها مسالك متنوعة :

فهو ينهى ويطلب تجنبها ، بعد أن يصفها فى وقوعها بما يدل على خطرها وشناعتها ، فيقول : **« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (١) .**

ثم يقول : **قل ! : انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٢) .**

... فاذ يدعو فى الآية الأولى الى عدم الاقتراب من الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن يعلن تحريمها صراحة فى الآية الثانية ، ما ظهر منها وما بطن كذلك .

والوصف « **بالفواحش** » فى الآيتين هنا — وفى آيات أخرى غيرهما — وان كان يتناول أنواع الجرائم الاجتماعية الثلاثة الا انه يدخل فيها الاعتداء على العرض دخولا أولا . فهو الجريمة الوحيدة ، دون جريمتى المال والنفس ، التى يصرح القرآن بوصفها بأنها فاحشة ، عندما أفردها بالتحريم فى قوله : **« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » (٣) .**

وقد يزيد فى تجسيم أمر هذه الجرائم وشدة خطرها فينسب وقوعها الى الشيطان والى تأثيره ، والانسان الذى يباشر واحدة منها أو جميعها — تبعا لذلك — هو ولى للشيطان ، يأتمر بأمره ويتصرف طبقا لاغرائه ، يقول فى بعض آيات الكتاب العزيز : « **ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » (٤) .**

... ويقصد بالفحشاء هنا فى هذه الآية جريمة الاعتداء على العرض وهى الزنا ، بينما يقصد بالمنكر جريمتى المال والنفس ، وهما السرقة والقتل .

ويقول فى البعض الآخر من الآيات : **« يا أيها الناس ! كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين .**

« انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (٥) .

---

(١) الانعام ١٥١ .

(٢) الاعراف ٣٣ .

(٣) الاسراء ٣٢ .

(٤) النور ٢١ .

(٥) البقرة ١٦٨ ، ١٦٩ .

... وهنا فى الآية الثانية من هاتين الآيتين تعبر كلمة « **السوء** » عن السرقة والقتل ، وكلمة « **الفحشاء** » عن « الزنا » ، كما يعبر قوله : « **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** » عن « الشرك » .

والآية بذلك تجمع بين الجرائم الاجتماعية الثلاثة ، وجريمة الاعتقاد ، وهى الشرك بالله ، وترد كلها ــ كما تذكر الآية ــ للشيطان فى وقوعها والتأثير فى مباشرتها .

والقرآن لا يصرح باسناد أمر الى « الشيطان » ــ وهو من فعل الانسان فى الواقع ، عندما ينحرف ويتبع نفسه الامارة بالسوء ــ الا لأن هذا الأمر بالغ الأثر السيء على المجتمع والأمة من جهة ، والا لأنه لا يأتى به فرد من الافراد الا اذا تمكنت فيه روح الانانية فأعمته عن كل ما سوى ذاته فى مجتمعه وأمته من جهة أخرى ، فاذا نسب القرآن الى الشيطان ، عدا هذه الجرائم ، تشكيك أصحاب الاموال فى أداء وظيفة المال وتحقيق منفعته العامة ، على نحو ما تذكر هذه الآية : « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** » (٦) .

... فهو ينسب اليه كذلك ايذاء كبيرا يهدد المجتمع والأمة بحرب الحقد والضياع ــ بجانب تلك الجرائم الاجتماعية ــ ، وهو الايذاء الناشيء عن حجب الانفاق فى سبيل المصلحة العامة ، وراء الزكاة .

وحجب الانفاق فى سبيل الله والمصلحة العامة ، أوعدم أداء المنفعة العامة للمال ، فى آثاره السلبية على المجتمع والأمة يشكل عاملا قويا فى التعويض لا يقل شأنا وخطورة عن شيوع تلك الجرائم الاجتماعية فى جوانب العرض ، والمال ، والنفس ، ومدى فاعليتها فى التعجيل بفناء المجتمع وضعف الأمة .

وبجانب التنبيه على خطورة هذه الجرائم واشراك الشيطان فى وقوعها يطلب القرآن تكرار الدعوة الى تجنبها وأن يناط أمر هذه الدعوة الى مجموعة من الافراد المؤمنين لا تنى ولا تتباطأ لحظة فى شأنها حتى يكون المؤمنون جميعا وهم أفراد المجتمع ــ على بينة فى كل وقت من أخطارها :

« **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » (٧) .

... واذا لم تذكر هذه الآية ــ بجانب الحث على فعل الخير ومباشرة المعروف فى القول والعمل ــ سوى النهى عن « المنكر » دون أن تذكر « الفحشاء » معه ، فان الزنا وهو فاحشة منكر كذلك ، ولكنه منكر بفيض ، ولذا أخذ وحده الوصف بالفحشاء .

والنهى اذن عن « المنكر » فى هذه الآية هو نهى عن الجرائم الاجتماعية الثلاث : الزنا ، والسرقة ، والقتل .

---

(٦) البقرة ٢٦٨ .

(٧) آل عمران ١٠٤ .

واهتمام القرآن بوجود مجموعة من المؤمنين تناط بها الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، وتجنب المنكر وان كان اهتماما برسالة الاسلام فى جملتها الا أن تخصيص « المنكر » بالنهى عنه فى مجمل الدعوة الى الرسالة يثير عناية خاصة بأمر هذه الجرائم الاجتماعية .

ومع هذين النوعين من المسالك التى يسلكها القرآن تجاه تلك الجرائم فانه قد حدد بصفة قاطعة عقوبات لها لا تتبدل ولا تتغير ، بتغير العهد والزمان مما يدل على ان الموقف تجاهها يجب أن يكون موقفا حاسما لا يقبل الاجتهاد والرأى ، محافظة على حرمات الافراد ، وصونا للعلاقات بينهم من الضعف أو التحلل :

أ ـ فبعد النهى عن جريمة الزنا فى قوله : ((ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)) .. حدد العقوبة لمن يرتكب جريمته فى قوله : ((الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)) .

... والقرآن فى تحديد العقوبة هنا على هذه الجريمة يتجه فى تنفيذها الى المؤمنين جميعا : عندما يخاطبهم فيقول : ((فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)) .

وأخيرا عندما يناشدهم عدم الرأفة فى تنفيذ العقوبة ، لأن ذلك أمر يخص دين الله ، فيما تعبر عنه الآية : ((ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)) .

ولا شك أن الاتجاه بمطلوب هذه العقوبة الى المؤمنين ـ دون الحاكم وحده ـ يؤكد أن الاعتداء على العرض ، أو جريمة الزنا ، هى جريمة ترتبط بالمجتمع ككل ، وأن خطورتها ليست وقفا على بعض دون بعض فيه .

ونوعية العقوبة بأنها ((الجلد)) وكميتها بأنها مائة جلدة ، وعلانيتها على مشهد من المؤمنين ، وان اتسم كل ذلك بالشدة وعدم الرأفة فلأن جريمة انتهاك العرض هى عامل فاضح لانسانية الانسان ونزول بالانسان الى مستوى الحيوان نفسه . فما يترتب على الزنا من :

فضح العورة ـ والعورة آخر ما يمسك الانسان على ستره الا فى علاقة مشروعة ، ومن التهرب من المسئولية عما قد ينشأ من طفولة غير شرعية ، أو يتسبب من مرض أو تفشى أمره لحطم قوة المجتمع المادية والمعنوية .. بعيد كل البعد عن الانسانية فيما يصيب الأمة من كوارث .

ان الفارق بين عالم الحيوان ومجتمع الانسان ليس فى النسل ولا فى مباشرة الغريزة الجنسية ، فكلاهما ينسل ويباشر الغريزة الجنسية ، وانما فى المسئولية عن النسل ومباشرة الغريزة وعدم المسئولية عنهما .

فعالم الحيوان لا يعرف مسئولية فى النسل ولا فى مباشرة الغريزة الجنسية ، بينما مجتمع الانسان فى قيادته ، وفى تحديد العلاقات بين أفراده يرعى المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية معا .

ومعنى المسئولية فى دائرة العلاقة الجنسية فى المجتمع البشرى هى تحمل النتائج التى تترتب على هذه العلاقة . ولن تتم المسئولية ويتم تحمل

---

(٨) الاسراء ٣٢ .
(٩) النـور ٢ .

نتائجها باباحة الزنا أو بتقليل نظرة الخطر اليه ، أو فى التحايل على قبولـه فى صورة من الصور التى تروج الآن :

كصورة « الزواج الجماعى » او صورة « تبادل الزوجات والرفيقات » ، فمهما كانت صورته فهو زنا فى حقيقته ، وهو بالتالى جريمة اجتماعية ان اخذ فى الاعتبار : ان المجتمع مجتمع انسانى ويراد له ان يحقق الاهداف الانسانية فى بقائه .

ب ـ ويحدد القرآن أيضا عقوبة السرقة ـ وهى جريمة المال ـ فيما تذكره هذه الآية :

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » (١٠) .

... يحدد القرآن هذه العقوبة بقطع يد السارق . وهو تحديد ينطوى على عنف وقسوة أيضا ، وقد استهدف من العقوبة على هذا النحو « التنكيل » بمن يرتكب هذه الجريمة، فوق جزائه عليها : « **جزاء بما كسبا نكالا من الله** » .

وذلك لأن سرقة المال ليست اعتداء على نشاط الساعى فى تحصيله فقط ولا اعتداء على تحقيق منفعة المال العامة بانفاقه فى مصارف الترابط بين أفراد المجتمع فحسب ، ولكنها قبل هذا وذاك تعد امتهانا لكرامة السارق نفسه فى انسانيته ، وهى كرامة الانسان الذى يجب أن يسعى بنفسه فى تحصيل فضل الله ورزقه ، وفق نشاطه الخاص فى السعى والتحصيل .

اذ السارق ليس من الفقراء أو المساكين ـ أى ليس بعاجز عن السعى أصلا ، وليس كذلك من يقصر دخله من سعيه عن تغطية احتياجاته لنفسه وفى أسرته ـ فله طاقة على السعى ، وبمباشرته السرقـة يعطلها عن العمـل ، ويصبح من جانب يشبه صاحب الربا الذى يحول بماله دون تسخير طاقتـه فى سبيل الكسب وتحصيل الرزق .

والسارق ـ فى نظر الاسلام ـ ليس من الفقراء والمساكين ، لأن الفقير والمسكين يجب أن تغطى حاجة معيشتهما من الزكاة ، وانفاق المال وراءها بما يجب فى أموال الموسرين ، حسب ما جاء فى القرآن الكريم .

وحصيلة الاموال التى تجبى من الزكاة ، أو تؤخذ من الموسرين ، يشرف عليها ما يسمى فى عرف الفقهاء بـ « **بيت المال** » ، وهو الخزينة العامة للدولة فى نظام الحكم المعاصر .

ومعنى هذا : أن اثم السرقة ان باشرها فقير أو مسـكين يقع أولا على المؤمنين ـ وفى مقدمتهم ولى الأمر فيهم ـ وبالتالى يسقط حدها على السارق وهو قطع اليد ، لأنه يجب أن يتكفل المؤمنون بحاجة كل منهما قبل تنفيذ حـد السرقة ،وعندئذ تكون السرقة ـ أن وقعت ـ جريمة اجتماعية ، وتعد اعتداء على مالك المال والمجتمع معا .

أما على مالك المال فانها تعويق لسعيه ، وأما على المجتمع فلأنها تحول دون تحقيق المنفعة العامة لوظيفة المال ، كما يراها الاسلام .

---

(١٠) المائـدة ٣٨ .

والتنكيل اذن بالسارق ـــ عن طريق قطع يده ـــ لا ينطوى على مجافاة لما يسمى بالحضارة الانسانية ، طالما هذه الحضارة تقوم على القيم العليا فى حياة الانسان . اذن القيم العليا التى يجب أن تتحقق فى حياة الانسان :

حرمـــة المال :

وحرمة العمل والسعى :

وحرمة التكافل :

والسرقة جريمة ضد هذه الحرمات الثلاث .

والمجتمع الذى يرى فى قطع يد السارقة همجية هو مجتمع أنانى لا يكفل للعاجز عن التكسب معيشته فى الحياة ، ولا يضمـــن لمن يقصر نشـــاطه فى السعى والعمل عن الوفاء بحاجته وما يؤدى هذه الحاجـــة ، وعندئـــذ تكون السرقة وسيلة للكفاف والوفاء بحاجة المعيشة ، وليس اعتداء على حرمـــات المال والعمل والتكافل .

جـ ـــ وبعد أن ينهى القرآن الكريم عن « القتل » فى قوله تعالى : « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** » (١١) ـــ وهو نهى هنا مضاعف أو مؤكد أولا بتحريم قتل النفس ، وثانيا بالنهى عن مباشرة قتلها : « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله** » ـــ يحدد عقوبة القتل فيما جاء فى قوله : « **يا أيها الذين آمنوا ! كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون** » (١٢) .

... وهذه العقوبة هى : القصاص « أى الأخذ بالمثل فى الاعتداء » وقد وضح القصاص ما يذكر فى قولـــــه : « **الحر بالحر والعبـــد بالعبد والأنثى بالأنثى** » .

ويرى أن القصاص فى القتلى بقتل المعتدى القاتل ـــ وان كان فى ظاهره أنه اعدام نفس أخرى غير التى قتلت بالفعل ، ـــ ينطوى على « حياة » فـــى واقع الأمر ، وهى حياة المجتمع فى صيانتـــــه من التمادى فى جريمة القتـــل مستقبلا : « **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون** » .

وهنا اذ ترى بعض المجتمعات المعاصرة عدم الأخذ بـ « القصاص » فى القتل ، توفيرا لنفس انسانية من الموت ـــ وهى نفس الفردالقاتل ـــ فانها اذ تبقىعلى حياة فرد تهدد حياة أفراد كثيرين آخرين فى المجتمع ، وهـــم الذين يتعرضون لجريمة القتل من تلك النفوس التى لا يردعها سوى القصاص فـــى القتـــلى .

والمجتمعات المعاصرة ـــ وهى تنظر الى هذه الجرائم الثلاث ـــ الزنا ـــ السرقة ـــ والقتل ، على أنها جرائم شخصية وليست اجتماعية ، ومن ثم ـــ تحدد عقوبات أخرى هى أهون بكثير من : الجلـــد فى الزنا ، وقطع اليـــد فى السرقة ، والقصاص فى القتلى ـــ وبما تنطوى نظرتهـــا هذه على ما يســـاعد تفشى هذه الجرائم فى مجتمعاتها ، بالاضافة الى العوامـــل الأخرى ، وهى عوامل اقتصادية ، تتردد بين سوء التوزيع للعمل أو الثروة القومية ، وخروج المرأة ومشاركتها فى مجالات العمل المختلفة .

---

(١١) الاسراء ٣٣ .

(١٢) البقرة ١٧٩ .

وازاء نهى الاسلام المشدد عن اقتراف هذه الجرائم الاجتماعية ، ودعوته الى قيام مجموعة من المؤمنين بالتذكير المستمر للابتعاد عنها ، وبالوقوف فى تحديد العقوبات عندها وحدها ... لا يرى المؤمن الا ذلك الذي يتجنب بالفعل كبائر الاثم والفواحش : ((**والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون**)) .. فيما يقصه القرآن الكريم من صفات المؤمنين ، التي تكون حقيقة ايمانهم ، وكذلك فيما يقصه من صفات عباد الرحمن فى قوله : ((**والذن لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما**)) (١٣) . ومضمون ما فى الآيتين واحد ، وهو عدم اقتراف الجرائم الاجتماعية .

ويكاد يكون عدم اقتراف هذه الجرائم الاجتماعية فى نظر القرآن — بالاضافة الى تجنب تلك الجريمة فى العقيدة والايمان ، وهى جريمة الشرك بالله — يحدد مضمون الرسالة الالهية ، وما يطلب من الانسان كانسان فى سلوكه ومواقفه ، كما يكاد يكون عنوانا على الهدف الأخير المنشود فى حياة الناس من ((الروحية)) وعدم اتباع ((المادية)) فى شططها وانحرافاتها .

وفيما ينصح به القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبايعة النساء اللاتي وفدن اليه عندما تضمنت عدم اقترافهن هذه الجرائم الاجتماعية والعقيدية على السواء فى قوله تعالى :

((**يا ايها النبى ! اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ، ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم**)) (١٤) .

... دليل أكيد على الاهمية التي يوليها لسلامة الايمان وسلامة المجتمع فى الابتعاد عن جريمة ((الشرك)) والجرائم الاجتماعية الأخرى الثلاث ، فتكاد تكون المبايعة مقصورة على العهد بعدم اقترافها ، بالاضافة الى عدم معصية المعروف .

والأمر نفسه فيما يطلب القرآن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعارضين لرسالته والمجادلين فيها ، فهو يتلو عليهم المحرمات من الجرائم العقيدية والاجتماعية ، حتى اذا اتبعوها لم يكن هناك خلاف بينهم وبين المؤمنين قبلهم :

((**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هذا صراطى**

---

(١٣) الفرقان ٦٨ .
(١٤) الممتحنة ١٢ .

مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥).

... فمضمون ما وصى به الله هنا مما يصور الصراط المستقيم هو الابتعاد « عن جريمة الاعتقاد ، وهى الشرك ، وجرائم : العرض والمال ، والنفس ، فجريمة الاعتقاد فيما ينهى عنه بقوله : **« ان لا تشركوا به شيئا »** . وجريمة العرض فيما يذكره فى قوله : **« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** . وجريمة المال فيما يعبر عنه بقوله : **« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان »** فان الأخذ من مال اليتيم بغير حق سرقة للمال، وبخس الكيل والميزان سرقة للمال أيضا ، أما جريمة النفس فقد عبر عنها — مرة فى صورة كانت شائعة — فى قوله : **ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم »** واخرى فى صورة عامة فى قوله : **« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق »** .

واتباع « العدل » فيما يوصى به القرآن هنا بعد ذلك يكاد يكون تعبيرا عن الواقع الذى يعيش فيه من يتجنب تلك الجرائم الأربع ، جريمة الشرك والجرائم الاجتماعية الثلاث الأخرى ، فالذى يتجنب الاعتداء على « وحدة الالوهية » وعلى حرمات العرض والمال والنفس يسلك طريق الاستفادة ، والاستقامة عدل وتوازن ، لا انحراف فيها أصلا .

وحماية المجتمع الانسانى من هذه الجرائم هو حماية له من السقوط والتدهور فى مجال الانسانية نفسها وفى مجال العلاقات بين الافراد ، ومن يعنى بتقدم المجتمع فى ضروب الصناعة ، وفى مستوى المعيشة ، وفى توفير الامكانيات المادية للحياة ، ويترك هذه الجرائم تأخذ طريقها الىالنفوس ثم الى واقع الحياة انما يساعد على السقوط والتدهور فى المجالين معا : مجال الانسانية ومجال العلاقات المتبادلة بين الافراد ، ورخاء بعض المجتمعات البشرية اليوم (فى اسكندنيافيا) بسبب التقدم الصناعى وتوفر الامكانيات المادية جعل منها نموذجا للانحلال وما يعبر عنه « بثورة الجنس » وفوضى الراى .

د — أما جريمة العقيدة ، وهى الشرك بالله ، فقد صورها القرآن الكريم مرة : بأنها ضلال بعيد : **« ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٦)** . وأخرى : بأنها افتراء عظيم : **« ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » (١٧)** فالمشرك بالله حقيقة ضال فى طريقه ، ومفتر فيما يدعيه :

هو ضال فى طريقه لأن سلوك طريق الشرك يوصل حتما الى حتف الذات أو الى بيعها فى سوق الهوى والشهوات ، فهو فى عيشته ، ذليل ، ومستعبد ، ولا يستطيع التحرر ومباشرة حريته الانسانية ، ومذلته وعبوديته لهواه تجعل منه منافقا وجبانا .

وهو كذلك فقير فيما يدعيه ، لأنه لم يستوعب بعد فى معرفة حقيقة الكون واشراكه بالله عندئذ هو ادعاء بما يسير حركة هذا الكون ويديره ، والانسان

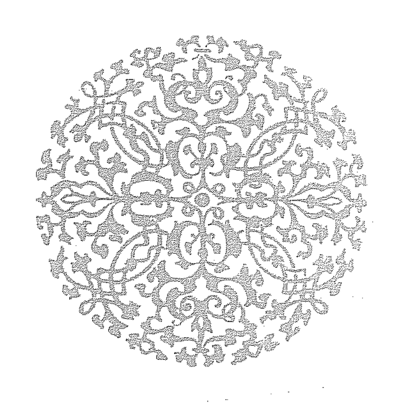
---

(١٥) الانعام ١٥١ — ١٥٣ .
(١٦) النساء ١١٦ .
(١٧) النساء ٤٨ .

في تحديده ومحدوديته لا يستطيع الخروج من دائرته الى دائرة عليا يدعى فيها فى ثقة ويقين وقوفه على حقائق الوجود فى كنهها ، وفى ترابطها ، ولذا : الحديث عن الشرك بالله وعن وجود شركاء فى الكون معه هو حديث يقوم على الافتراء ، ويرتكب قائله اثما عظيما لأنه بقوله يظلم نفسه ويظلم من هو الكامل فى الوجود وحده معه .

كما يعلنها القرآن الكريم — حربا لا هوادة فيها ضد المشركين ولا يستبيح فيها دماءهم فحسب ، وانما يطلب استئصالهم اينما وجدوا ، ويؤكد للمؤمنين ان الله معهم فى قتالهم للمشركين ومطاردتهم اياهم : **« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين »** .

وفيما يقرره فى قوله : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** (١٨) من عدم المغفرة للمشرك ما يرتكبه من جريمة فى حق « وحدة الالوهية » ... يوحى بأن هذه الجريمة على رأس الجرائم الأربع ، وربما تكون كذلك هى الأصل والمصدر لها ، فما من جريمة اجتماعية الا وتدفع اليها « المادية » وهى الغلو فى تحصيل المتع الدنيوية ، والمادية مظهر انكار الألوهية والايمان بما عدا الله سبحانه وتعالى ، والشرك بالله لا يقل فى آثاره ضررا على الانسان المشرك من انكار الألوهية ، فقوله : ان الشرك بالله ينطوى على الايمان بما عدا الله ، ينطوى أيضا على انكار خصائص الله وصفاته ، التى فى مقدمتها « الوحدة » فى الذات .



---

(١٨) النساء ٤٨ .



هذا بصائر من ربكم

الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـــ الكويت

روى البخاري بسنده المتصل عن أبي سعيد الخدري قال ـــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » (١) .

١ ـــ مر بي ذات صباح سيد مرموق من سادات القوم عمر الايمان قلبه ، وملك عليه لبه ، وصار ديدنه وهجيراه راعه اضطراب الافكار وكثرة الفتن ، عقائر ترتفع هنا وهناك وضروب من الناس كانوا في خباء توجب طبيعة نشأتهم ونوع ثقافتهم أن لا يقام لهم وزن ، ولا يلقى اليهم بال ، فلا سابقة لهم في جلادولا ماض في نضال قد رفعوا عن وجوههم القناع وسفروا بكفر صراح وسودوا صحائف تنكر بارىء النسم وتعنون سلوكها علما وتقيمه حكمة وتبرزه ثقافة وتقدمه رشدا تريد أن تكون « براقش » وتأبى أن يذكرها التاريخ « زرقاء » وما درت ، والمراهق لا يدري وانما يساق ـــ انها تتخبط في غواية وعماية وتسلك بيداء مجهل وتقتاد الى ظلمات ما بعدها ظلمات . خشي صاحبي أن يصيبه بلاء يعم وشر يسود فعاج الى الكلم الطيب يستنبئه باحثا عن مقر أمين به يلوذ وفيه يبقى على ما ضمت جوانحه من ايمان ، ووجد ما كان يبغي بعد أن لقي من سفره هذا نصبا (٢) فاشترى غنيمات وبعثها الى شعاف الجباب يلحق بها اذا دعا الداعي وأهاب المنادي ، ووقع القول وكان لا بد مما ليس منه بد .

جرى الحديث يستعرض العلل والادواء فما وجدنا غير الاسلام ملاذا ولا في سواه حماية فهو دين الله رضي المارقون أو كرهوا ، ورحمته الى عباده ، ورسوله مصطفاه وخاتم أنبيائه وأشار أن يكون الحديث عن هداه وعقائده وعن رب كل شيء ووجوده ، ولعل حيرة أن تزول وعقــلا يستجيب وكوكبا يضيء للمدلجين الحيارى .

وهنا سمعنا هتافا من أعماق قلوب مؤمنة أيها السيد : ان الاسلام لايطاول وان بناءه مشيد لا ينال وأن أمره لمستقر لا يضيع فمن أنزل كتابه حفظه ، وهو من هو له قدرة المحيي المميت الذي « أهلك عادا الاولى . وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى ، فبأي آلاء ربك تتمارى » .

وأن لله رجالا امتشقوا حسام العقل وتسنموا غارب الحقيقة يدافعون عن العقيــدة ، هم كالسيل المتتابع يمرون مع حقب الزمان فيحيــون الموات وسيبعثون الطمأنينة الى القلــوب ومع ضوئهم ســيتوارى خفاش ، ويأرز الى

جحره سام ، واذا تخطفوا فسيخلفهم من هو أشد منهم صرامة وأقوى علما واوسع معرفة ، وهكذا شأنهم مع الايام حتى يأتي أمر الله ، وحينذاك يقبض العلم كما شاء الله له أن يولد ، وتكون الحاقة والواقعة ولن ينجم ذلك قريبا ، فقر عينا واهنأ بالا وسبح اسم ربك الاعلى — انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . تلك فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .

٢ — الاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لخلقه ووصى به أنبياءه ورسله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (٣) . ومعناه افراد الله بالالوهية وكل خصائصها والاستسلام لمشيئته والرضا بالتحاكم الى شريعته ، وهو الذى ارتضاه لعباده لا أى دين سواه (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

وقضايا الاسلام لها جانبان :

جانب « نظرى » فى حاجة الى بحث واستدلال واعمال فكر ونظر ، وهو الاصل الذى لا تقوم الشريعة الا بعد ثبوته ، ولا ترسو قواعدها الا به ، ولهذا دأب العلماء المتصدون لأمور الدين الاسلامى على تسمية تلك المباحث بأصول الدين تارة والعقيدة تارة أخرى ، وبعد التسليم المبنى على البراهين القطعية بوجود واجب الوجود وحصول القناعة الكافية يجىء دور الجانب « العملى » وهو دور الشريعة الشاملة للعبادات والمعاملات والجهاد والسير « وأفضل أصناف الاركان الدينية هى الواقعة تحت جنس الاعتقادات فانها معدودة من حيز العلم والاصناف الاخرى معدودة من حيز العمل ، وليس يشك أن نسبة العلم الى العمل مضاهية لنسبة العلة الى المعلول أو لنسبة البدء الى التمام ، والشىء متى فسدت علته واختل بدؤه لم يلحقه الصلاح أبدا ، والشىء اذا بطل تمامه فقد لحق الخلل بدأه لا محالة ، فالاعتقادات هى التى تبذل لها المهج والارواح ولأجلها تحتمل المحن والمشاق حتى أن الرجل قد يكون موسوما بطهارة الاخلاق وبالعفة والسداد ولا يلتفت الى فضائله اذا كان مدخول العقيدة ، بل تنفى عنه صفة العدالة . وينزل منزلة الفجار فى الشهادة ومنزلة الاغراب فى الميراث ومنزلة السفل فى المناكح (٤) » .

والعقيدة فى معناها العام بصرف النظر عن كونها دينية أو سياسية أو مذهبية خاصة مستندة الى حقيقة أو وهم أو الى خرافة — تطلق على التصديق الناشىء عن ادراك شعورى أو لا شعورى يقهر صاحبه على الاذعان لقضية ما من غير برهان ، فلا فعالية للعقول فى تكوين مثل هذا الاعتقاد غالبا وان طلبت له البراهين المؤيدة بعد استقراره وتكوينه ، والمعنى اللغوى قريب من هذا ومؤيد له فاستعراض مفهوم كلمة (عقد واعتقد) فى قواميس اللغة (٥) نخلص منه الى التعريف الآتى :

العقيدة (ما انعقد عليه القلب وتمسك به وتعذر تحويله عنه لا فرق فى ذلك بين ما كان راجعا الى تقليد أو وهم وما كان راجعا الى دليل عقلى (٦) .

وقد جرى القول عند علماء الكلام على أن العقيدة بمعناها الاصطلاحى

تقابل العلم والمعرفة وتواكب الايمان ، فالاعتقــاد عندهم هو الادراك الجازم المطابق للواقع الناشيء عن دليل وقيد الجازم هنا ينفى الظن (٧) والوهم (٨) والشك (٩) فلا تقوم بواحدة منها عقيدة ، ومطابقة الواقع على مقتضى قواعد الاسلام يبعد اعتقادات أخرى كالتثليث (١٠) واعتقاد امتياز أمة على غيرها (١١) وأما القيد الاخير فوضعوه احترازا عن التقليد وان نازع فيه بعضهم مستدلا بما وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث آمن الكثيرون وحسن اسلامهم دون ان يطالبوا او يطلب منهم دليل ، بل ان السابقين الاولين قد آمنوا بعد أن ارتضوا خلق رسول الله وسلوكه ومعاملاتــه قبل الرســالة وبعدها ، ولم يؤثر عن واحد منهم طلب دليل كالادلة التى يقيمها المتكلمون ، وقد يكون هذا راجعا الى سلامة فطرهم وبعدهم عن التعقيدات الفكرية التى نشأت فى عصور متأخرة وفشت بعد اندماج المسلمين من العرب مع الامم الاخرى التى حملوا اليها الاسلام وكان لها فى الوقت نفسه ماض حضارى يحمل طابعا خاصــا ، ولهذا لو قيل انه لابد من الدليل لتركيز العقيدة الاسلامية لكان الجواب أنه حق وضع أسسه القرآن الكريم حين دعا الى النظر السهل الميسور حتى للعامة ليصلوا منه الى معرفة الله ، وهو المأثور عنهم (البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير) ، فنحا بهم القرآن هذا النحو السهل من الأدلة فى مثل قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الارض كيف سطحت) ومع هذا فقد دعا أيضا الى التعمق فى النظر والفكر ، والاصالة فى استنباط الادلة بطرق علمية وخبرة ذاتية ودراية واعية فأهاب بالناس ان ينظروا فى الكون ومنشئه وما يحويه من موجودات مبتدئا بالانسان نفســه (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وهو بهذا يضع القاعدة الاساسية للانطلاق الفكرى فاتحا المجال للباحثين تاركا دقة التفصيلات للانسان يصل الى اسرارها بجهده العقلى وسلاحه العلمى فى مختلف العصور الصاعدة بدون انقطاع . ومهما نقب الانسان عن خفايا الكون فلا بد له ان يدخل فى نطاق الآية الكريمة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقلة ما أوتى الانسان من العلم يكشف عنه ويؤيده بوضوح حال من سبقونا ومقارنته بما نحن عليه الآن فلو حدث الناس منذ سنين بأن انسانا استطاع المشي على القمر لقالوا — ان محدثكم به مس من الشيطان ، وسيصل من بعدنا الى أبعد من ذلك ما دامت العقول تعمل ولا تتوقف وستقف مكتشفات اليوم الى جانب ما يحمله الغد موقف القزم الى جوار العملاق ، فمع كل صباح جديد كشف علمى فريد وعلم الله لا يتناهى (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) .

وموقف الاسلام هذا كان فارقا أساسيا بينه وبين ما عرف عن أديان أخرى تحجب المعرفة عن العقل وتقيده ولو وصل الى نتيجة لا تؤيده وارى أن **التقليد كاف لحصول العقيدة الدينية مبدئيا فان قدر المقلد على تأييد ما اعتقده وتوكيده بالدليل ، ثم قصر فى تحقيق ذلك فهو آثم شرعا ، والا كعوام المسلمين ومن على شاكلتهم فايمانهم صحيــح وتقليــدهم كاف دون اثــم (لا يكلف الله نفســا الا وسعها) وهكذا كان مسلك رســول الله صلى الله عليه وســلم مع من دعاهم الى الاسلام ، وعليه درج الراشدون من خلفائه رضى الله عنهم .**

وبعد .. فان العقيدة الاسلامية تمتــاز بصفائها وبعدها عن التعقيــد وملاءمتها للفطرة السليمة (فطرة الله التى فطر الناس عليها) كما أن لهــا

خصائص مميزة فى التوجيه والتربية العامة والخاصة ومن اليسير استخلاص ذلك من مدلول « كلمة التوحيد » التى جعلها الله مفتاحا للدخول فى الاســـلام كدين .

ففي المقطع الاول منها (لا اله الا الله) .

١ — تحرير من العبودية لغير الله الواحد ومنع من الانقياد الى اية قوة مخلوقة فكل العالم بما فيه خاضع لنظر الانسان ومسخر له (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) وهو محل بحثه ودراســـاته فمهما خفيت عليه الاسرار فهو مكلف بكشفها والوصول الى اعماقها ليستخدمها فيما يرقى به ويطور معيشته الى الافضل (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) فلا يوجد فى تعاليم الاسلام الصحية ، ولا فى مصادره المؤكدة الثبوت ما يعوق أو يحول أو يقف ضـــد أى باحث او دارس مهما تنوع بحثه وتشعبت دراسته بل القرآن يؤكد ان نهاية مطاف المفكرين الهادفين الوصول الى معرفة الله الواحد معرفة حقيقية تتبين لهم فى احكام الصنع ودقة التكوين من آثار قدرة الله وابداعه (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

ومع هذا فليس لاى كائن تقع عليه الحواس أو لا تقع سلطان يؤهله لان يعبد من دون الله وهذا هو الحق الذى سيوصل اليه يوما ما (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وفى الآية الـــكريمة المماع الى ان الوصول الى اسرار الكون غير الانسان أيسر من معرفة خفايا النفس البشرية ويبرز هذا المعنى فى تقديم الآفاق على الانفس .

يقول الكســـيس كاريل فى كتابه الانسان ذلك المجهول : لقد بذل الجنس البشرى مجهودا جبارا لكى يعرف نفســـــه ولكن بالرغم من اننا نملك كنزا من الملاحظات التى كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار الروحانيين فى جميع الازمان فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة فقط من أنفســـنا . اننا لا نفهم الانســـان ككل اننا نعرفه على أنه مكون من اجزاء مختلفة وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسائلنا فكل واحد منا يكون من موكب من الأشباح تسير فى وسطها حقيقة مجهولة وواقع الأمر ان جهلنا بأنفسنا شبه تام فكثيرا من الاســـئلة التى يلقيها وارثو الجنس البشرى تظل بلا جواب لان هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنة ما زالت غير معروفة لنا تماما حتى الآن . . ومن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان مازال غير كاف وان معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية ،، (١١) .

٢ — فى هذا المقطع أيضا تحرير من العبودية لغير الله من الخضوع لأى كائن سواه والخروج عن طاعة من انحرف عن الجادة المفارق لدينه البعيـــد عن تطبيق أحكامه ، ولئن وجد الاحكام الاسلامية ظل للرق فذلك لاذابته والقضاء عليه لا لتثبيته وســـيجد الفاحص المنصف ذلك واضحا جليا فى ايات القران الكريم والسنة والتشريع واعمال الراشدين .

٣ ـ فتحت آفاق البحث والا ستطلاع وافسحت مجال الرؤية للكون وما فيه من آثار قدرة الواحد الواجب الوجود والكون كتاب مفتوح لن قدر على حل طلاسمه وفك ألغازه . وأمكنه وضع الحلول لعمياته واستجلاء خفاياه ، وما كل ذى بصر بصير (وكأى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقد جاء ختام آيات كثيرة فى القرآن الكريم حاثا على الفهم والفقه والعلم (ان فى ذلك الآيات لقوم .. يعقلون .. يفقهون .. يسمعون .. يتدبرون .. الخ) **وأما المقطع الثانى** : (محمد رسول الله) فانه يوجه التفكير الى النظر فى مهمة الرسول والرسل جميعا بالقياس اليه ، فما جاءوا به كله من عند الله تعالى ولا شىء لهم « عليهم السلام » الا التبليغ فقط ، ووظيفتهم منحة وهبة من العلى الكبير ، وشأنهم ايصال ما كلفوا بايصاله الى البشر ، وعدم الخلط بين الوحى وبين أى فكر بشرى ، وواضح أن الهداية وشرح الصدور لقبول الدعوة أمر خارج عن مهمة الرسل (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) .. (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

ومادام الايمان بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حاصلا فقد وجب أن يتلقى كل ما جاء به بالقبول والاذعان ، ولترد الامور كلها الى حكم الله وحكمه (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) لأن (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

والايمان بالرسول من أسس العقيدة الاسلامية ، وهو مستلزم للايمان بما بلغوه عن ربهم ، ومن معطياتهم **العقيدة** وهى الاصل **والشريعة** وهى المنهج والتطبيق ، وهذا هو العلم والعمل ...

والحديث موصول ان شاء الله تعالى

---

(١) مفردات لغوية . يوشك : يقرب . شعف الجبال : جمع شعفه وهى رؤوس الجبال . مواقع السقط : بواطن الاودية وخصها بالذكر لأنها مكان الراعى . يفر بدينه : أى بسبب دينه ليخلص له دينه .

(٢) سفر الروح وعناؤها وكم من مقيم وهو باد ورائح وهو غاد .

(٣) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٤) ص ١٢٥ من كتاب الاعلام بمناقب الاسلام لأبى الحسن محمد بن يوسف العامرى المتوفى سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢) م تحقيق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب طبع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .

(٥) وفى المصباح المنير اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يؤمن الانسان به .

(٦) محاضرات فى التوحيد للعلامة الشيخ على حسب الله ص ١١ طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٧) وهو ادراك الطرف الراجح .

(٨) وهو ادراك الطرف المرجوح .

(٩) وهو ادراك الطرفين على السواء .

(١٠) يراجع فى هذا اظهار الحق لرحمة الله الهندى ، والجواب الصحيح لابن تيمية .

(١١) يشير الى قول اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

(١٢) الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » ترجمة السيد شفيق أسعد فريد .



من وحي الفداء

للأستاذ حسن فتح الباب

هناك فوق قمة الضياء فى حدائق الأفق
والشمس تنسج المروج بالجنى والشعب ينطلق
تاملوا الأبطال ، هذه دماؤهم على الشفق
تقبل الوديان ، والحياة بالفداء تنبثق

* * *

ولنرفع الجبين عاليا فانهم يشاهدون
الوية النصر ترف حرة على حمى العرين
ولنفرش الطريق بالزهور للآباء والبنين
تحية للخالدين من طلائع المناضلين

* * *

هيا الى الوادى الأمين يا رفاق نجتنى السلام
ونجتلى انوار من اردوا هنا جحافل الظلام

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون

« قرآن كريم »

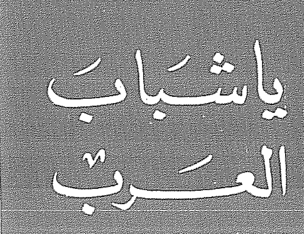
ارواحهم تسرى بنا فى موكب الحياة للأمام
جراحهم تشع فى صدورنا الفخار كالوسام

* * *

لا تخفق الشفاه بالوداع ، انهم سيرجعون
سيرجعون فى الربيع ناضرا على مدى السنين
سيرجعون والحصاد فى الربى والطير فى الغصون
سيرجعون بسمة على الثغور قرة العيون

* * *

المجد للشعب العريق يفتدى بروحه حماه
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخوان والطغاه
للفارسين بالدماء دوحة السلام والحياه
للعائدين يشهدون مجدهم ، فلترفع الجباه



ماهي

(كيف تواجه ثقافتنا الإسلامية: حضارة الغرب وثقافته)

أشرنا اشارة موجزة — من قبل — الى المشكلة الرئيسية التى يعانى منها المسلمون اليوم . وهى أنهم لم يحاولوا حتى الآن ، تحديد معالم شخصيتهم الاسلامية ، وأن ذلك هو علة ضياعهم فى معترك السياسة الدولية ، وسبب تخلفهم اجتماعيا واقتصاديا ، وسياسيا ..

فالى جانب هذه المشكلة أو المأساة الخطيرة التى يعيشها المسلمون اليوم — يعيشون أيضا صراعا خطيرا عنيفا مع حضارة الغرب وثقافته ، وتقدمه العلمى ، وتفوقه المادى المتميز بالحركة والنشاط ، والمزخرف بألوان جذابة من الوسائل والمثل والقيم الحديثة ، التى هى نتاج ثقافته الخاصة .

ان المسلمين اليوم — وقد أضاعوا شخصيتهم الاسلامية الممتازة بقيمها ومثلها وثقافتها الخاصة يواجهون الثقافة الغربية التى تشن ، كما يقول الدكتور (عبد الكريم عثمان) (١) حربا ضروسا على الفكر الاسلامى ، لأنها — أى الثقافة الغربية الحديثة كانت أثرا من آثار النزاع المسلح بين العلم ورجال الدين المسيحى ، الذين تحكموا فى مصائر الناس وحجروا على الحرية والعلم والكرامة الانسانية . ومن هنا نشأت الفلسفة الغربية المتميزة بالتحلل من المبادىء الدينية واحترام المادة وحدها .. حيث النفعية والعنصرية و (الغاية تبرر الوسيلة) و (التجارة هى السرقة الحلال) و (وأنا وبعدى الطوفان) !!

ولا فرق فى ذلك بين شرق أوربا : حيث الشيوعية الملحدة هى السائدة ، وبين غربها حيث الرأسمالية المنهومة هى المتحكمة — فالرجل العادى فى أوروبا

ثقافتكم ؟

للأستاذ : أحمد محمد جمال

كما يقول الاستاذ (محمد أسد) ديمقراطيا كان أم فاشيا ، ورأسماليا كان أم اشتراكيا وعاملا كان أم رجل فكر — انما يعرف دينا واحدا هو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة الا أن يجعلها الانسان حرة طليقة من قيود الطبيعة . أما كنائس هذا الدين ، فهى المصانع الضخمة ، ودور السينما ، ومختبرات الكيمياء ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء . وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما ، وأقطاب التجارة والصناعة) (٢) .

ويؤكد الفيلسوف البريطانى المعاصر (برتراند راسل) ما قاله الاستاذ أسد ، فيعلن بصراحة : « ان الحضارة الحديثة أهملت الاهتمام بالروح .. وأن العالم اليوم بحاجة الى دين جديد يجعل غايته الانسان » .

ومن ناحية أخرى يقول الاستاذ (محمد أسد) : « ان أعداء الاسلام فى الخارج يرون فى اتحاد المسلمين قرب هلاكهم ، واضمحلال حضارتهم فينشرون فى طول العالم وعرضه أفكارا سيئة مشوشة عن الاسلام والمسلمين ، وأنهم أناس تواقون للحروب والتدمير ، كما يشوهون حضارة الاسلام وتراثه بكل أنواع الوسائل التى لديهم . وفى كتاب (الى أين يتجه العالم الاسلامى) اعترافات صريحة وقحة لمؤلفه (هاملتون جب) ولبعض زملائه من المستشرقين الحاقدين المتآمرين على الاسلام وثقافته وتراثه الحضارى : بأن الغرض من الجهود المبذولة لحمل المسلمين على الحضارة الغربية هو تفتيت الحضارة

الاسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين ، وتغيير خصائصها تغييرا جذريا عن طريق النشاط التعليمى والاعلامى والثقافى الذى من شأنه أن يترك فى المسلمين من غير وعى منهم — أثرا يجعلهم يبدون فى مظهرهم العام لا دينيين .

وهكذا تتجلى الحرب الضروس التى تشنها الثقافة الغربية على الفكر الاسلامى : واقعا مشهودا وملموسا واعترافا صريحا نقرأه فى مؤلفات المبشرين والمستشرقين الغربيين ، ويتمثل (واقع) حرب الثقافة الغربية للفكر الاسلامى فيما جنده العدو الصليبى المتربص من كبار الكتاب الغربيين والمؤلفين الى جانب المعاهد والجامعات والمستشفيات والارساليات — فى سبيل اخراج المسلمين من دينهم عن طريق اثارة الشبهات والافتراءات حول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وقرآنه وتشريعه وعقيدته مما لا مجال هنا لتفصيله وانما نكتفى بالاشارة الموجزة اليه :

☐ كالقول ببشرية القرآن الكريم — أى أنه ليس من كلام الله عز وجل ، وانما هو من تأليف محمد جمعه من ثقافات يونانية ورومانية وهندية وفارسية .

☐ وكالقول : بأن الحديث النبوى من صنع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الاربعة ، حيث أعد كل امام منهم الاحاديث المؤيدة لمذهبه الفقهى ، ثم نسبها الى الرسول .

☐ وكقولهم : ان عيسى لم يخطىء قط بينما ارتكب محمد عددا من الاخطاء عاتبه عليها ربه فى القرآن !!

☐ وكتعدد الزوجات المباح فى الاسلام ، وخاصة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى يرونه عيبا فيه !!

☐ واثارتهم الحملة على اللغة العربية ، ودعوتهم لاستعمال اللهجات العامية فى كل قطر عربى لتمزيق شمل المسلمين ثقافيا واجتماعيا !!

☐ وترويجهم لعقيدة (الجبر) بين الشباب المسلم الذى يدرس فى جامعات أوربا وأمريكا ، لكى يغروهم بترك الصلاة والصيام ، ويدفعوهم الى الفسوق والعصيان .. بدعوى أنهم مجبورون وأن كل شىء مقدر من الازل مع استدلالهم بآيات من القرآن تقرر مطلق الارادة والمشيئة لله عز وجل .

☐ وزعمهم أن التشريع الاسلامى مقتبس من القوانين الرومانية وأن التراث الفكرى والعلمى الذى خلفه فقهاء الاسلام وعلماؤه وأدباؤه .. انما هو مزيج من الثقافة اليونانية والهندية والفارسية ..

الى غير ذلك من شبهات ومفتريات ودعايات يثيرها رجال الثقافة الغربية فى وجه الثقافة الاسلامية للقضاء عليها ، وتفتيت تراثها ، وابعاد المسلمين عنها كما اعترف (جب) واخوانه ..

ومن سوء الحظ .. أن كثيرا من مفكرى المسلمين المعاصرين قد أعانوا أعداءنا الالداء على أنفسنا وعلى ديننا وثقافتنا وأمتنا المسلمة ، فقاموا بنشر هذه الشبهات والمفتريات الغربية مصدقين لها .. نتيجة تأثرهم بالثقافة الغربية واعجابهم بكل ما يقوله أساتذتهم الغربيون !

والآن نتساءل : كيف نواجه بثقافتنا الاسلامية ثقافة الغرب وحضارته ؟ (٣)

□ هناك فريق من المفكرين المسلمين وقف من حضارة الغرب وثقافته موقف الخصم العنيد فمنع الاقتباس منها والاخذ عنها .

□ وفريق آخر .. يتكلف التوفيق بينهما وبين الثقافة الاسلامية على حساب طمس (الشخصية) المسلمة ، وجميع خصائصها وقيمها ومثلها الخلقية وانظمتها التشريعية ..

□ وفريق ثالث يرى أن يحتفظ المسلمون بثقافتهم الاسلامية التى توجه الى العمل الدنيوى الصالح مع ملاحظة (الآخرة) ورابطة الجزاء بينهما وبين عمل المسلم فى دنياه .. على أن نأخذ من حضارة الغرب وثقافته كل جديد نافع ، من صناعة وزراعة وعلوم ووسائل حضارية ، دون اخلال بعقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا الاسلامية .

ورأى هذا الفريق من مفكرى الاسلام وحملة دعوته الخيرة — هو الرأى الصائب الرشيد .. فالمسلمون فى نظرنا مدعوون اليوم : أن يواجهوا ثقافة الغرب وحضارته وكيد مبشريه ومستشرقيه بأمور أربعة :

أولا : معرفة (المعالم الاصيلة) لشخصيتهم الاسلامية وتحديدها ، والحفاظ عليها ، والاعتزاز بها .

ثانيا : الاتجاه الجاد المخلص نحو ثقافة الاسلام عقيدة وشريعة وخلقا .

ثالثا : الانتفاع بالجديد الطيب من علوم العصر الحديث وفنونه وصناعاته ، واكتشافاته ووسائله الحضارية من غير تفريط فى أى جانب من أوامر اسلامنا أو زواجره .

رابعا : تصفية مناهج التعليم ، وبرامج الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون ، وأوضاع النشاط الاجتماعي وأنظمته من شوائب ومعائب التقليد أو الاقتباس من الثقافة الغربية الملحدة المنحرفة — مع توجيه شبابنا وطلابنا عبر هذه المناهج والبرامج والانظمة والاوضاع التعليمية والتربوية والاعلامية والاجتماعية — وجهة اسلامية خالصة . بذلك نستطيع — بتوفيق الله وعونه — أن نعيد للمسلمين (شخصيتهم الاصيلة) و (ثقافتهم الخيرة) و (مدينتهم الفاضلة) و (مجتمعهم الرشيد) .

---

(١) فى كتابه (الثقافة الاسلامية) .
(٢) فى كتابه (منهاج الحكم فى الاسلام) .
(٣) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب (الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية) للاستاذ ابى الحسن الندوى .



الحرب الإجماعية والقيادة المالية والعسكرية

اللواء الركن محمود شيت خطاب

أما الدعامة الثانية التى ترتكز عليها القيادة العسكرية للمجاهدين العرب والمسلمين ، فهى المال .

والمال هو عصب الحرب ، وبدونه يصاب المجهود الحربى بالشلل التام . أن المجاهدين بحاجة الى التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الادارية (اعاشة ، طبابة — تنقل .. الخ) والقيادة .

فاذا تيسر المال بشكل مستديم منظم أمكن انجاز التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الادارية ، واذا لم يتيسر المال فلا يمكن انجاز ذلك بأى شكل وبأية صورة : بالشكل الذى يدوم فيه الجهاد وبالصورة التى يستطيع فيها المجاهدون أن ينهضوا بواجباتهم كما يرام .
وما يقال عن المجاهدين يقال عن الجيوش النظامية وعن الفدائيين .
ان المعنويات العالية للمجاهدين ضرورية لاحراز النصر ، فاذا لم يطمئنوا الى مصير أسرهم المعاشى فلن تكون معنوياتهم عالية على أى حال .

وعوائل الشهداء التى تعيش بكرامة ، سبب من أسباب رفع معنويات المجاهدين وأسرهم على حد سواء ، والعكس صحيح .

والجهاد يحتاج الى التفرغ ليؤتى ثمراته مرتين ، فلا بد من دفع مرتبات مناسبة للمجاهدين تكفى لمعيشة أسرهم ومعيشتهم ، فليس من المعقول أن يقاتل المجاهد كما يقاتل الرجال فى ظروف يكون فيها فكره موزعا بعيدا عن ساحة القتال ، خاصة اذا كان هذا المجاهد هو المسؤول الوحيد عن اعالة أسرته وبدونه تتضور جوعا .

لذلك لا بد من أن تكون للمجاهدين موارد مالية ثابتة ، والاعتماد على التبرعات التى قد تكون كبيرة فى فترة من الزمن وقليلة فى فترة أخرى لا يكفى لتصعيد الجهاد وقد يقضى عليه .

فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد سنة (١٨٩٧) فى مدينة (بال) السويسرية تقرر جمع الاموال لاستعمار فلسطين .

ولم تمض فترة وجيزة على عقد هذا المؤتمر ، الا وظهرت التنظيمات المالية لجمع تلك الاموال : تأسس المصرف اليهودى للمستعمرات سنة (١٨٩٨) ، وظهر الصندوق القومى اليهودى سنة (١٩٠١) .

وانتشرت لجان جمع التبرعات الصهيونية فى جميع أرجاء العالم لجمع التبرعات من الصهاينة ومن غيرهم بشتى الطرق والاساليب .

كل يهودى فى العالم ، عليه أن يدفع مقدارا معلوما من المال كل شهر ، لا يستطيع أن يتخلف عنه لحظة واحدة ولا يستطيع أن يستقطع منه قرشا واحدا : بامكانه فقط أن يضاعف المبلغ المفروض عليه تبرعا وتطوعا ، وليس بامكانه التخلف عن أداء المبلغ الواجب دفعه شهريا .

هذه النسبة التى يدفعها كل يهودى فى العالم ، تتناسب مع دخله الشهرى بحيث لا يرهقه الدفع ولا يحمله من أمره ما لا يطيق .

وهذا التنظيم الدقيق لجباية الاموال بهذا الاسلوب وبكميات معلومة ، جعل للصهاينة ميزانية ثابتة ، لا يمكن أن تؤثر الازمات والاحداث فيها .

ان تعاون الحكومات العربية والشعوب العربية مع الحكومات الاسلامية والشعوب الاسلامية ضرورى للنهوض بمهمة جمع المال للمجاهدين .

يجب انشاء (صندوق فلسطين) لتمويل المجاهدين ورعاية أسرهم وأسر الشهداء منهم ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بد عربى وكل بلد اسلامى ، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فان الانفاق فى سبيل الله من البر الذى أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التى نص القرآن الكريم عليها .

ولست أذهب بعيدا فى طريق التفاؤل ، ولكننى واثق كل الثقة بأن فى العرب والمسلمين خيرا كثيرا ، وهم مستعدون للجهاد بأموالهم فى سبيل الله ، ولكن الذى يحول دون جباية مبالغ خيالية فى ضخامتها من المال أمران : الاول أن قسما منهم لا يعرف لمن يسلم ما تجود به نفسه من مال — خاصة بعد تكاثر لجان جمع التبرعات ، والثانى عدم الثقة ببعض لجان جمع التبرعات لانحرافها مما يؤدى أن تعم الريبة فى الجميع .

ان انبثاق لجان جمع المال لصندوق فلسطين فى كل قرية وكل قصبة وكل مدينة ، على أن تكون مؤلفة من أشخاص معروفين يتميزون بالنزاهة المطلقة والاخلاص العميق ، ثم جمع التبرعات بموجب قسائم رسمية معتمدة ، سيؤدى الى انهمار المال للفدائيين الفلسطينيين والمجاهدين انهمارا .

وسيزداد المال انهمارا بعد أن تظهر آثار الفدائيين والمجاهدين فى اسرائيل .

ان رجال الدين يستطيعون أن يخدموا الجهاد والمجاهدين وقضية فلسطين بصورة عامة فى هذا المجال أعظم الخدمات ، وبذلك يثبتون وجودهم ايجابيا ولا يبقى كلامهم أقوالا تذروها الرياح .

— ٧ —

ان القيادة العسكرية للمجاهدين هى التى تخرج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق العمل الايجابى البناء .

ونبدأ بتفصيل منظومة القيادة العسكرية للمجاهدين من القاعدة حتى القمة (انظر تفاصيل منظومة قيادة المجاهدين فى الملحق (أ) المرفق) .

أ) يجب أن يكون فى كل مدينة عربية اواسلامية قيادة عسكرية للمجاهدين ، وهذه القيادة تتألف من ضباط وضباط صف من الجيوش او من المتقاعدين .

واجب هذه القيادة هو جمع المجاهدين وتجهيزهم وتسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم فى فصائل وسرايا وكتائب ، وبعد انجاز كل ذلك تنقل المجاهدين الى مركز تجمعهم للحركة الى ميدان القتال .

وتعاون هذه القيادة فى أداء واجباتها : القيادة الروحية المؤلفة من رجال الدين المشهورين بالتدين والورع والاستقامة والعلم ، ويكون واجب هذه القيادة شحن نفوس المجاهدين بطاقات روحية ، تدفعهم الى الاستقتال فى الحرب ، ويكون واجبها حث الناس على الجهاد بالاموال والانفس .

ولكى يكون اثر القيادة الروحية ايجابيا ، فلا بد من ان يتطوع قسم من رجال الدين للجهاد .

وتعاون القيادة العسكرية فى واجباتها ايضا ، القيادة المالية المؤلفة من أنزه رجال المدينة واكثرهم امانة ، ويكون واجب هذه القيادة جمع الاموال وشراء التجهيزات العسكرية والذخيرة والسلاح ، وضبط الموارد المالية وتوزيع المرتبات على المجاهدين ورعاية اسرهم بعد حركتهم للجهاد والعناية بأسر الشهداء منهم .

ب —) ويجب ان يكون في كل دولة عربية أو اسلامية قيادة للمجاهدين تتألف من ضباط ذوى رتب عالية وضباط صف متطوعين .

واجب هذه القيادة هو حشد مجاهدى المدن والقرى القادمين من قيادات المدن والتأكد من اكمال تسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم ، ومن ثم نقلهم الى ساحة القتال .

وتعاون هذه القيادة القيادة الروحية والقيادة المالية أيضا ، وتكون واجبات هاتين القيادتين مشابهة لواجبات القيادتين الروحية والمالية فى قيادات المدن العسكرية ولكن على نطاق أوسع .

ج) القيادة العامة للمجاهدين ، وتكون فى ميدان القتال ، واجبها الاول هو قيادة المجاهدين القادمين من الدول العربية والاسلامية .

تتألف من ضباط ذوى رتب عالية معروفين بتدينهم وتجربتهم العملية وعلومهم العسكرية وشجاعتهم واقدامهم .

فما أحوجنا اليوم الى قائد ماهر كثير التدين ، ليقود العرب والمسلمين الى النصر .

ولكن حاجتنا الى عامل مجاهد يضرب اروع الامثال للمجاهدين فى البذل والتضحية والفداء من أمثال ابن تيمية والعز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم لاتقل عن حاجة العرب والمسلمين الى قائد ماهر متدين بل تزيد .

— ٨ —

لقد حاولت التركيز على التنظيم العسكرى للمجاهدين ، لكى أدل على الطريق لاخراج ركن الجهاد الاسلامى من حيز الفتاوى الى حيز التطبيق العملى فى حرب حديثة فى عصر حديث لمجابهة جيش حديث هو جيش اسرائيل .

ولم أتطرق للتنظيم العسكرى للفدائيين والجيوش النظامية ، لأنهما موجودان فى الوقت الحاضر .

وبالامكان الافادة من قيادة الفدائيين لتكون النواة الصالحة لقيادة المجاهدين ، لان تلك القيادة لديها تجربة عملية فى القتال ، وقد نجحت تجربتها فى قيادة الفدائيين .

لقد كان للعمل الفدائى آثار واضحة فى الارض المحتلة وفى النطاق العربى وفى البلاد الاجنبية .

فى النطاق العربى ، رفع الفدائيون الروح المعنوية ، ونظموا صفوف الفلسطينيين ، وجعلوا منهم قوة ضاربة ذات شأن ، كما برزت من صفوف الفلسطينيين قيادة فلسطينية أثبتت عمليا بأنها قادرة على تنغيص حياة الصهاينة المحتلين .

وفى البلاد الاجنبية ، استطاع الفدائيون الاستحواذ على أجهزة الاعلام العالمية ، وبرهنوا بالدم ان حقا فى فلسطين وراءه مطالب ، وأن شعب فلسطين لايمكن ان يتخلى عن حقوقه ، مهما طال الزمن وتضاعفت الخسائر .

واستطاع الفدائيون فى نطاق الهيئات الدولية ان يبرزوا قضية فلسطين ، فأصبحت تلك الهيئات تهتم بها وتخشى عواقبها . بينما كانت قضية فلسطين قبل أن يتكلم الفدائيون بالدم مجرد فقرة فى جدول اعمال الامم المتحدة ومجلس الامن يتكرر ذكرها بدون نتيجة ملموسة .

وفى نطاق الارض المحتلة ، استطاع الفدائيون ان يجعلوا من اسرائيل منطقة غير آمنة على الحياة والمال والممتلكات ، مما أشاع الرعب بين سكانها وحرمها من تدفق المهاجرين الجدد والاموال الاجنبية والسياح اليها ، وضاعف من نفقات اسرائيل على قواتها المسلحة .

تلك هى لمحات مختصرة جدا من انجازات الفدائيين ، وهى تستحق أعمق التقدير واعظم الاعجاب .

والفدائيون مجاهدون ، وتجربتهم الرائدة اثبتت وجودها عمليا فى الميدان ، ولكن تعداد الفدائيين قليل بالنسبة لتعداد العرب والمسلمين .

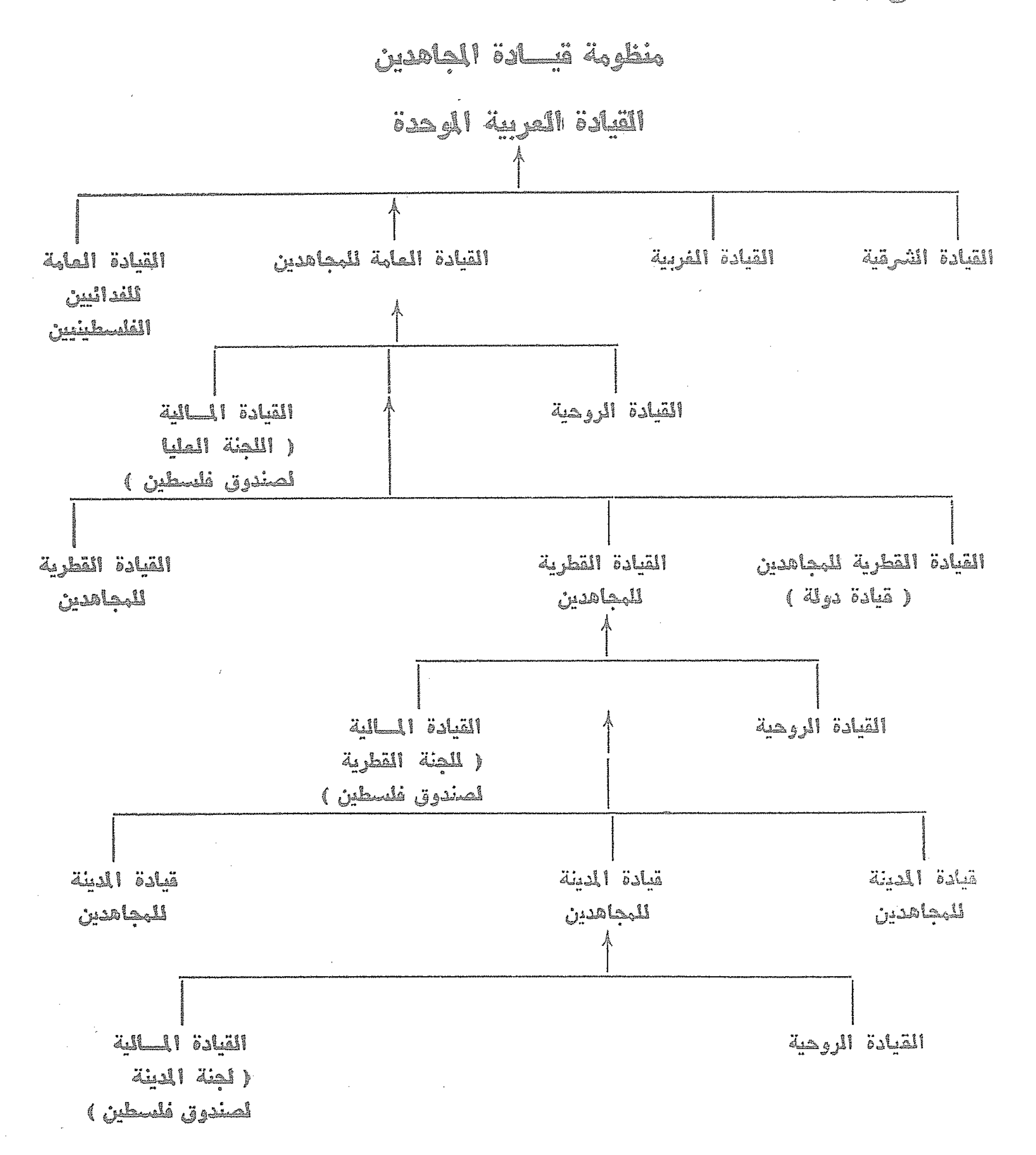
فماذا سيحدث لو تضاعف عددهم بالمجاهدين المؤمنين الصادقين ؟

ان الصهاينة ستميد بهم الارض فى اسرائيل ، وسيقولون كما قال أسلافهم من قبل : (ان فيها قوما جبارين) .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله امام المجاهدين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

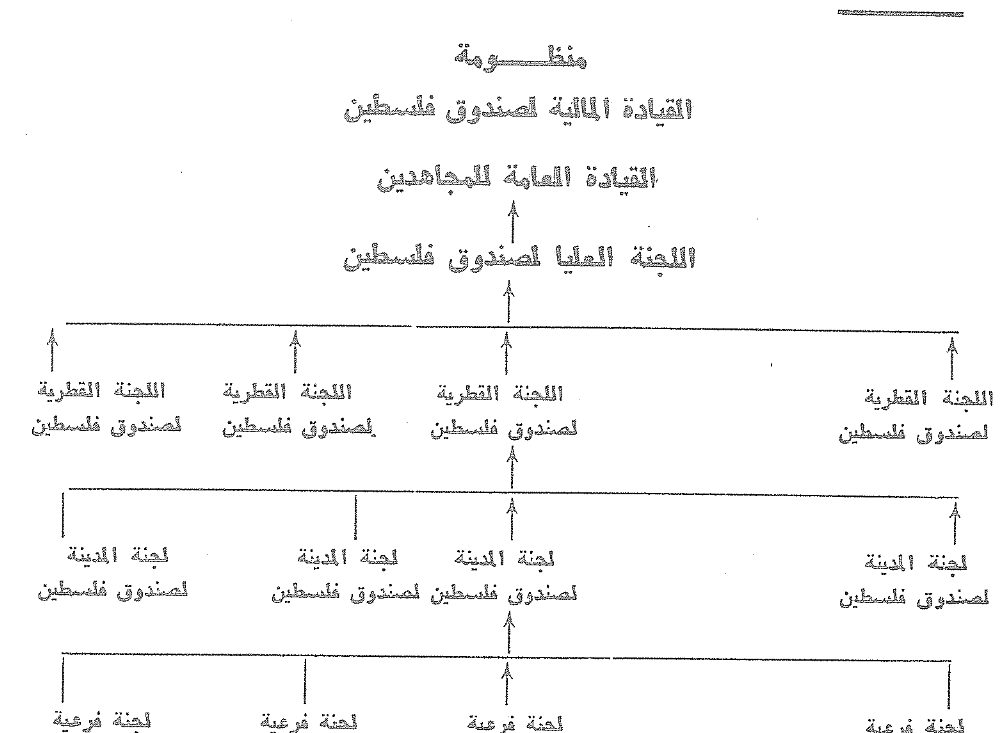
الملحق (١)



الملحق (ب)

منظـــومة

القيادة المالية لصندوق فلسطين



ملحوظات :

١ ـ تودع الاموال المجباة فى المصارف : كل لجنة يكون لها اعتماد فى مصرف معين باسم : صندوق فلسطين .

٢ ـ كل لجنة من اللجان تخول بجمع الاموال من اللجنة التى هى أعلى منها ، وذلك منعا لتعدد اللجان دون مسوغ .

٣ ـ لكي يكون لصندوق فلسطين مورد ثابت ، أقترح أن يقدم كل عربى وكل مسلم ما لا يقل عن واحد بالمائة من دخله الشهرى الى صندوق فلسطين شهريا .

أما الزكاة فيكون تقديمها للصندوق بخيار صاحب الشأن .

٤ ـ أماكن اللجان :

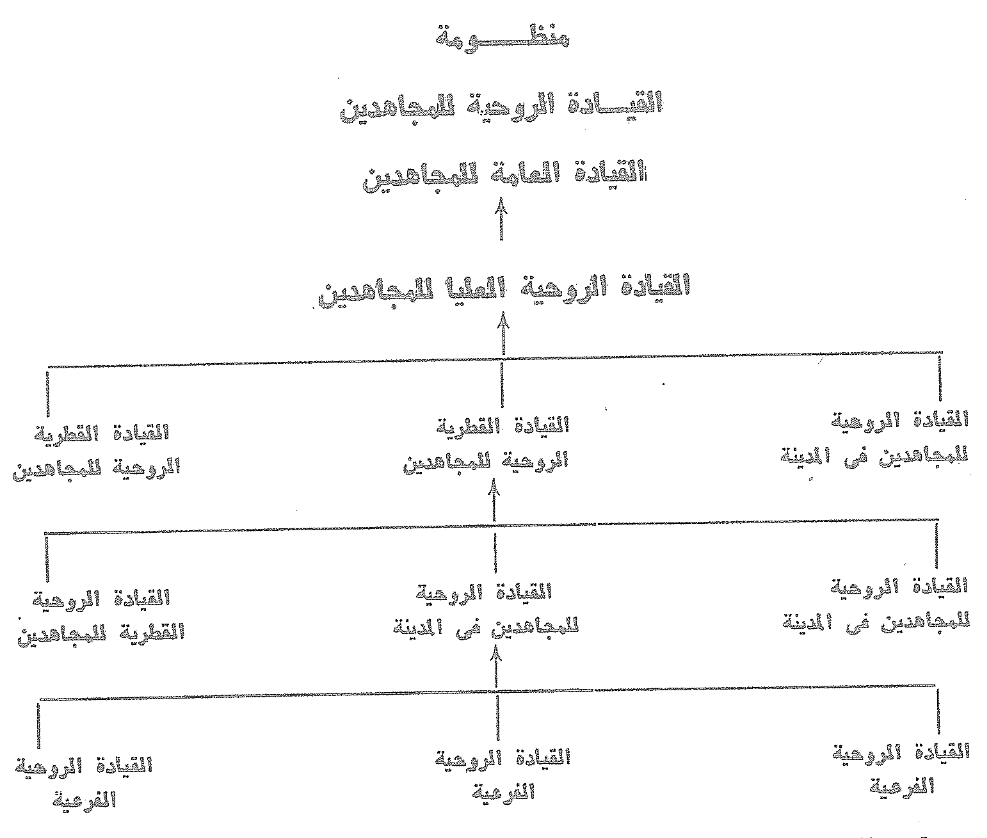
أ) اللجنة العليا بالقرب من جبهة القتال بتماس شديد مع القيادة العامة للمجاهدين .

ب) اللجنة القطرية فى عاصمة الدولة أو المملكة العربية أو الاسلامية قريبا من القيادة القطرية للمجاهدين .

جـ) لجنة المدينة : فى المدينة العربية أو الاسلامية بجوار قيادة المدينـــة للمجاهدين .

د) تكون اللجان الفرعية في الاماكن التى تنسبها لها لجنة المدينة .

الملحق (ج)



ملحوظات :

١ ـ القيادة الروحية العليا للمجاهدين تكون برئاسة شيخ الأزهر وعضوية عالم عامل من كل قطر عربي واسلامى .

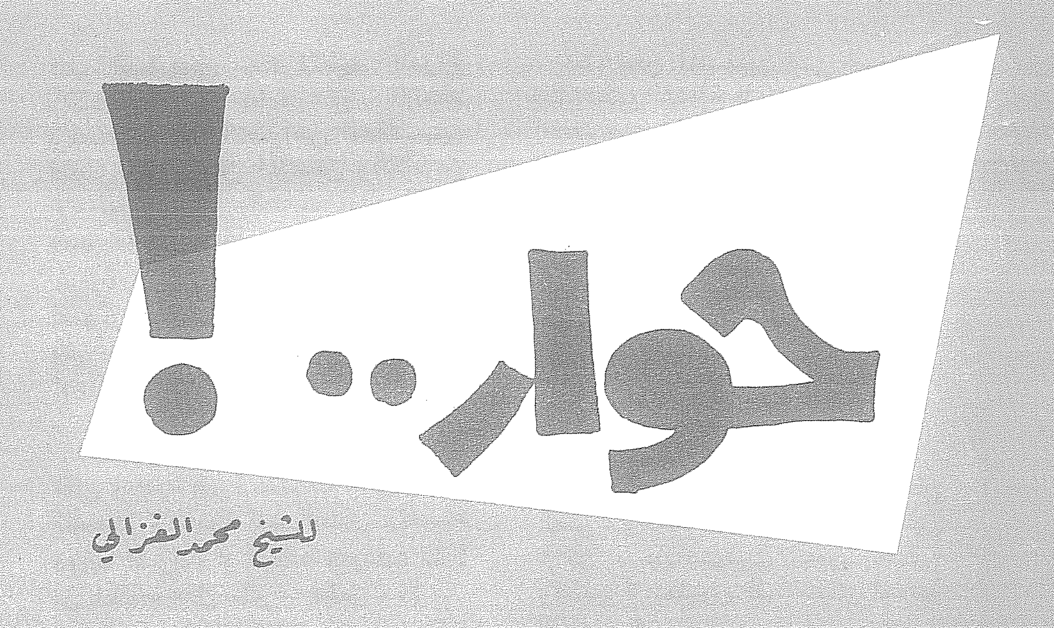
وتضع هذه القيادة منهجا للمحاضرات التى تلقى على المجاهدين وتضع الخطوط العريضة لكل محاضرة .

٢ ـ القيادة القطرية للمجاهدين تكون برئاسة مفتى القطر أو أكبر عالم عامل فيه .

٣ ـ القيادة الروحية فى المدينة تكون برئاسة شيخ علماء تلك المدينة .

٤ ـ القيادة الروحية الفرعية ينهض بها عالم القرية أو القصبة أو القضاء ، فاذا لم يتيسر فيمكن ايفاد عالم من المدينة .

٥ ـ يجب أن يكون العالم العامل جاهزا للنهوض بأعباء الجهاد بنفسه وماله .



دار بينى وبين احد الملاحدة جدال طويل ، ملكت فيه نفسى واطلت صبرى حتى القف آخر ما في جعبته من افك ، وادمغ بالحجة الساطعة كل ما يورد من شبهات ..

قال : اذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله ؟ قلت له : كانك بهذا السؤال ، او بهذا الاعتراض تؤكد انه لا بد لكل شيء من خالق !! قال : لا تلففنى فى متاهات ، أجب عن سؤالى ! قلت له : لا لف ولا دوران انك ترى ان العالم ليس له خالق ، اى ان وجوده من ذاته دون حاجة الى موجد ، فلماذا تقبل القول بان هذا العالم موجود من ذاته ازلا ، وتستغرب من أهل الدين ان يقولوا : ان الله الذى خلق العالم ليس لوجوده اول ؟ أنها قضية واحدة ، فلم تصدق نفسك حين تقررها ؟ وتكذب غيرك حين يقررها ؟ واذا كنت ترى ان الها ليس له خالق خرافة ، فعالم ليس له خالق خرافة كذلك ، وفق المنطق الذى تسير عليه ..!!

قال : اننا نعيش فى هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع ان ننكره !

قلت له : ومن طالبك بانكار وجود العالم ؟ اننا عندما نركب عربة او باخرة او طائرة تنطلق بنا فى طريق رهيب ، فتساؤلنا ليس فى وجود العربة ، وانما هو : هل تسير وحدها ام يسيرها قائد بصير ؟؟

ومن ثم فانني أعود الى سؤالك الاول لاقول لك : انه مردود عليك ، فأنا وانت معترفون بوجود قائم ، لا مجال لانكاره ، تزعم أنت أنه لا أول له بالنسبة الى المادة ، وارى أنا أنه لا أول له بالنسبة الى خالقها فاذا أردت أن تسخر من وجود لا أول له ، فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين ....!!!

قال : تعنى ان الافتراض العقلى واحد بالنسبة الى الفريقين ؟ قلت :

انني استرسل معك لأكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الالحاد وحسب ، اما الافتراض العقلي فليس سواء بين المؤمنين والكافرين .. انني — انا وانت — ننظر الى قصر قائم ، قاري — بعد نظرة خبيرة — ان مهندسا اقامه ، وترى انت ان خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت في مواضعها وتهيأت لساكنيها من تلقاء نفسها ..!

الفارق بين نظرتينا الى الأمور انني وجدت قمرا صناعيا يدور في الفضاء ، فقلت انت انطلق وحده دونما اشراف او توجيه ، وقلت انا : بل اطلقه عقل مشرف مدبر ..!

ان الافتراض العقلي ليس سواء ، انه بالنسبة الى الحق الذى لا محيص عنه ، وبالنسبة اليك الباطل الذى لا شك فيه ، وان كان كفار عصرنا مهرة فى شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة ، فى الوقت الذى يصفون أنفسهم بالذكاء والتقدم والعبقرية .. اننا نعيش فوق أرض مفروشة ، وتحت سماء مبنية ، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم ، وبهذا العقل ننظر ، ونستنتج ، ونناقش ، ونعتقد .

وبهذا العقل نرفض التقليد الغبى كما نرفض الدعاوى الفارغة .

واذا كان الناس يهزءون بالرجعيين عبيد الماضى ويتندرون بتحجرهم الفكرى ، فلا عليهم أن يهزؤا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل ، ويدوسون منطق العلم باسم العلم وهم للاسف جمهرة الملاحدة ..!!

لكنا نحن المسلمين نبنى ايماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية ، ونستقرىء آيات الوجود الاعلى من جولان الفكر الانسانى فى نواحى الكون كله .

فى صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرآن الكريم وجدت تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة فى سلم الصعود .

هذه الصورة هى صورة الرمز ، وأول صورة تطالعك هى اعلاء شأن العلم ، والغض من أقدار الجاهلين « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب » .

ثم تجىء الصورة الثانية لتبين أن المسلم ليس عبد فكرة ثابتة ، أو عادة حاكمة بل هو انسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الاوثق والأزكى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

ثم يطرد ذكر أولى الألباب للمرة الثالثة فى ذات السياق على أنهم أهل النظر فى ملكوت الله ، الذين يدرسون قصة الحياة فى مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق الى الخالق « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب » .

وظاهر من الصور الثلاث فى تلك الصفحة من الوحى الخاتم أن الايمان مبتوت الصلة بالتقليد الأعمى أو النظر القاصر أو الفكر البليد .

انه يلحظ ابداع الخالق فى الزروع والزهور والثمار ، وكيف ينفلق الحمأ المسنون عن الوان زاهية او شاحبة توزعت على أوراق وأكمام حافلة بالروح والريحان ثم كيف يحصد ذلك كله ليكون أكسية وأغذية للناس والحيوان ، ثم كيف يعود الحطام والقمام مرة أخرى زرعا جديد الجمال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق ! من صنع ذلك كله ؟

قال صاحبى ــ وكانه سكران يهذى ــ الأرض صنعت ذلك !!

قلت : الارض امرت السحاب ان يهمى ، والشمس أن تشع ، وورق الشجر ان يختزن الكربون ويطرد الاوكسجين ، والحبوب أن تمتلىء بالدهن والسكر والعطر والنشا ؟؟

قال : اقصد الطبيعة كلها فى الأرض والسماء !

قلت : ان طبق الأرز فى غدائك أو عشائك تعاونت الأرض والسماء وما بينهما على صنع كل حبة فيه ، فما دور كل عنصر فى هذا الخلق ؟ ومن المسئول عن جعل التفاح حلوا والفلفل حريفا أهو تراب الأرض أم ماء السماء ؟

قال : لا اعرف ولا قيمة لهذه المعرفة !!

قلت : الا تعرف أن ذلك يحتاج الى عقل مدبر ، ومشيئة تصنف ؟ فأين ترى العقل الذى انشأ ، والارادة التى نوعت ، فى اكوام السباخ أو فى حزم الاشعة ؟؟

قال : ان العالم وجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء ، ولا نعرف الأصل ولا التفاصيل !!

قلت له : اشرح لكم ما تقولون ! تقولون : انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب فى أجواز الفضاء ، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقى سنحت فرصة فريدة لن تتكرر أبد الدهر ، فنشأت الخلية الحية فى شكلها البدائى ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى !!

هذا هو الجهل الذى اسميتموه علما ، ولم تستحوا من مكابرة الدنيا به !!

أعمال حسابية معقدة تقولون : إنها حلت تلقائيا ، وكائنات دقيقة وجليلة تزعمون أنها ظفرت بالحياة فى فرصة سنحت ولن تعود !! وذلك كله فرارا من الايمان بالله الكبير !!

قال : ــ وهو ساخط ــ افلو كان هناك اله كما تقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسى والآلام ، ونرى ثراء يمرح فيه الاغبياء وضيقا يحتبس فيه الأذكياء ، وأطفالا لا يمرضون ويموتون ، ومشوهين يحيون منغصين .. الخ .

قلت : لقد صدق فيكم ظنى ، أن الحادكم يرجع الى مشكلات نفسية واجتماعية أكثر مما يعود الى قضايا عقلية مهمة !! ويوجد منذ عهد بعيد من يؤمنون ويكفرون وفق ما يصيبهم من عسر ويسر « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » .

قال : لسنا انانيين كما تصف نغضب لأنفسنا او نرضى لأنفسنا ، اننا نستعرض احوال البشر كافة ثم نصدر حكمنا الذى ترفضه ..

قلت : آفتكم أنكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا ووظيفة البشر فيها انها معبر مؤقت الى مستقر دائم ، ولكى يجوز الانسان هذا المعبر الى احدى خاتمتيه لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه ويهذب طباعه ، وهذا الابتلاء فنون شتى ، وعندما ينجح المؤمنون فى التقلب على العقبات التى ملأت طريقهم ، وتبقى صلتهم بالله واضحة مهما تـرادفت البأسـاء والضراء فانهم يعودون الى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم «ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون »

قال : وما ضرورة هذا الابتلاء ؟

قلت : ان المرء يسهر الليالى فى تحصيل العلم ، ويتصبب جبينه عرقا ليحصل على الراحة ، وما يسند منصب كبير الا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب ، فان كان ذلك هو القانون السائد فى الحياة القصيرة التى تحياها على ظهر الأرض فأى غرابة أن يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب ؟

قال : ـ مستهزئا ـ أهـذه فلسفتكم فى تسويغ المآسى التى تخالط حياة الخلق ، وتصبير الجماهير عليها ؟

قلت : سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور ، أن هذه الآلام قسمان : قسم منقدر الله فى هذه الدنيا ، لا تقوم الحياة الا به ، ولا تنضج رسالة الانسان الا على حره ، فالأمر كما يقول الأستاذ العقاد « تكافل بين أجزاء الوجود ، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيضة تقابلها وترجح عليها . وقد يطرد هذا القول فى لذاتنا المحسوسة كما يطرد فى فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية اذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع ، ولا نستمتع بالرى ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح . . »

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ينضم اليه أن الله جل شأنه يختبر كل امرىء بما يناسب جبلته ويوائم نفسه وبيئته ، وما أبعد الفروق بين انسان وانسان ، وقد يصرخ انسان مما لا يكترث به آخر ، ولله فى خلقه شئون ، والمهم أن أحداث الحياة الخاصة والعامة محكومة باطار شامل من العدالة الالهية التى ريب فيها الا أن هذه العدالة كما يقول الاستاذ العقاد « لا تحيط بها النظرة الواحدة الى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والاحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل فى تصريف الارادة الالاهية ، أن البقعة السوداء فى الصورة الجميلة وصمة قبيحة اذا حجبنا الصورة ونظرنا الى تلك البقعة بمعزل عنها ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونا من الوانها التى لا غنى عنها أو التى تضيف مزيدا الى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها ، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يصيبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته » .

تلك هى النظرة الصحيحة الى المتاعب الغير الارادية التى يتعرض لها الخلق .

أما القسم الثانى من الشرور التى تشكو منها يا صاحبى فمحوره

خطؤك أنت وأشباهك من المنحرفين.
قال مستنكرا : انا واشباهي لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى ! فكيف تتهمنا ؟

قلت : بل أنتم مسئولون ، فان الله وضع للعالم نظاما جيدا يكفل له سعادته ، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره ، وحذر من اتباع الاهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود . ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

« فاذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم اذا حصدوا المر من آثامهم ؟

ان أغلب ما أحدق بالعالم من شرور يرجع الى شروده عن الصراط المستقيم ، وفي هذا يقول الله جل شأنه « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

ان الصديق رضي الله عنه جرد جيشا لقتال مانعي الزكاة ، وبهذا المسلك الراشد اقر الحقوق وكبح الأثرة ونفذ الاسلام فاذا تولى غيره فلم يتأس به في صنيعه كان الواجب على النقاد أن يلوموه لا ان يلوموا الاقدار التي ملأت الحياة بالبؤس !

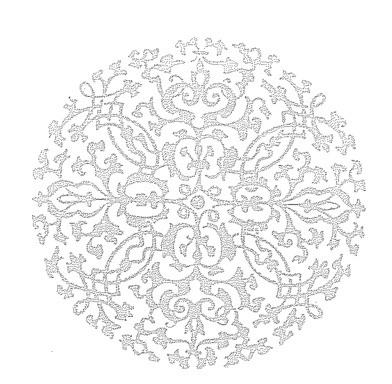
قال : ماذا تعني ؟

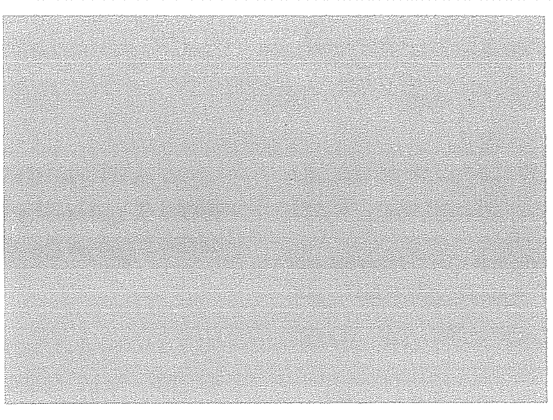
قلت : أعني أن شرائع الله كافية لاراحة الجماهير ، ولكنكم بدل أن تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهمتم دينه وفعله !!

ومن خسة بعض الناس ان يلعن السماء اذا فسدت الأرض !!

وبدلا من أن يقوم بواجبه في تغيير الفوضى واقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين . . !!

انكم معشر الماديين مرضى ، تحتاج ضمائركم وأفكاركم الى علاج بعد علاج . . وعدت الى نفسي بعد هذا الحوار الجاد أسألها : ان الامراض توشك ان تتحول الى وباء ، فهل لدينا من يأسو الجراح ويشفي السقام أو ان الأزمة في الدعاة المسلمين ستظل خانقة ؟؟





فلينظر الإنسان مم خلق

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور/محمد سلام مدكور
رئيس قسم الشريعة الاسلامية ـ كلية الحقوق جامعة القاهرة

أبدأ الكتابة فى هذه المجلـة بما ينبغى أن يبدأ به كل مؤمن داع الى الايمان ، وهو بالتوجيه الى العقيدة ودين الحق تثبيتا للايمان فى نفس المؤمن ، ونزعا للزيغ ممن تراوده الشكوك ، واضاءة لمعالم الحقيقة لهداية الضال ، ووجدت أن خير ما يهدى الى ذلك ويبصر به هو أن ينظر الانسان الى نفسه من خلقه ليتعرف على أصله ، ثم يتخذ له من ذلك عبرة ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وتذكرت توجيه الله سبحانه لخلقه بقوله «**وفى انفسكم افلا تبصرون**» وبقوله «**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر**» ويقول جل شأنه «**يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث**» وقد تضطرنى هذه النظرة الى أن أبحث عن بدء التكوين الجنينى ، وأن أمر بالاطوار التى مر بها الجنين فى ضوء ما جاء فى القرآن والسنة مقارنا ذلك بما أثبته علم الأجنة ، وعلم التشريح ،

وقد يجرنا الكلام في هذا الى الكلام عن الصلة الوثيقة التي بين الانسان وبين امه الأرض ، فان من تأمل في الارض واسرارها ومحتوياتها ، وربط بينها وبين طبيعة الانسان وصفاته ، وجد أن هناك توافقا عجيبا بين مواهب الارض ومواهب الانسان ، فهما كالسالب والموجب ، فاذا لم يتفاعل الانسان بمواهبه مع مواهب الأرض تعطلت قواها ، وفي الآية الكريمة التي يصور الله فيها دعوة صالح لقومه الى عبادة الله عز وجل فيما يحكي الله عنه بقوله ((**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها**)) ففي هذه الآية أشارة الى ذلك الارتباط بين الانسان وأصله في الأرض ، فالانسان ناشيء من الأرض في خلقته الأولى هو متغذ من الأرض بما يأكل من خيراتها ومزروعاتها ، ومن الحيوان الذي نشأ ونما من تلك المزروعات .

ومع أن الانسان من هذه الأرض فقد ميزه الله عن كل ما فيها بأن جعله خليفة في الأرض ، ومسيطرا على جميع عناصرها لتتحقق بذلك عمارتها ، وتمتد شئون الحياة فيها الى أجل مسمى عنده ، فخضعت له بما فيها طوعا أو كرها بتوجيه من الله ، واستخلافه للانسان في عمارة الأرض ، وبالتأمل يبدو أن سر هذه الخلافة الانسانية ، وتمكين الانسان من السيطرة على غيره من الكائنات في هذا الكوكب المعمور هو انفراد البشر بعنصر الانسانية التي هي أمر زائد على طبيعته الحيوانية التي هي الجزء المادي في مفهوم الانسان ، وهذه الانسانية هي التي توصله الى التعرف على ما في الكون من عجائب وأسرار وتمكنه من التعرف على خالقه .

فالانسان في مادته تركيب مادي ككل كائن حيواني ، وفي انسانيته طاقة من نوع أرقى هي الروح التي هي قوام قواه — المعنوية ، وقد حدثنا القرآن بذلك أصدق حديث في آيات عدة تتمثل فيما جاء في قول الله تعالى « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » .

والواقع أن الخلق الأول الذي يدخل فيما تدل عليه الآية الكريمة : «أفعيينا بالخلق الاول» هو مبدأ خلق الانسان الذي لا يسير في نظام التطوير الذي جرت عليه سنة خلق الانسان بعد ذلك ، وهو ذلك البدء البديع الذي امتن الله بذكره في عدة مناسبات ، كما تضمنت جملة من الآيات الاشارة الى ما في ذلك الانسان من الناحيتين المادية والروحية والتنويه بشأنها تنويها ينم على ما في الانسان من عظمة وما له من مكانة ممتازة بين المخلوقات وخاصة بما حباه الله من تلك النفحة الربانية بتلك النفحة الروحية ، فهي التي جعلت منه انسانا له ذلك الامتياز وتلك السيطرة العظيمة .

ولقد أمر الله الانسان باعمال الناحيتين وقضاء الحقين : حق الجسد وحق الروح اذ يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك » وفي هذا التوجيه الكريم يتمثل اعتدال المنهج الالهي القويم الذي يعلق قلب الانسان بآخرته ويجعله يستقبل الموت بنفس راضية مطمئنة ، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع قضاء لحقه المادي بل يحضه على ذلك ويكلفه اياه تكليفا حتى لا يتزهد في الدنيا الزهد الذي يهمل به الحياة ويعرض عن شئونها .

وفي الحق ان ذلك الاتجاه الروحي متمثلا في عبادة الله سبحانه نتيجة اتجاه فكرى وجداني عميق الى غاية روحية خالصة ولا يتمكن من الوصول اليها من جهل حقيقة الكون الذى يعيش فيه . فكان هذا النص الكريم المعجز : «وفي انفسكم افلا تبصرون» « فلينظر الانسان مم خلق » موجها النفوس الانسانية الى النظر فى آيات الله والتبصر بما فيها من عبر ومعارف توقف الانسان عند حده وترده الى وضعه ومرتبته .

ومن تأمل فى الانسان وتركيبه ووظائفه ومواهبه أدهشه ذلك الصنع البديع صنع الله الذى أتقن كل شيء ودله من الطريق المباشر على عظمة الخالق القدير وانه قادر على بعثه بعد الموت ، كما تجلت قدرته فى خلقه وايجاده وهذا قول الله جل شأنه : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا » على أن كل هذه المعانى التي يدركها الانسان فى نفسه وفيما يحف به من آيات الكون ان هى الا وشل فى محيط وغيض من فيض وجزيرة صغيرة فى بحر لا نهاية له حيال تلك الآيات ووجاه تلك المعلومات التى استأثر بها خالق ذلك الكون الباهر العجيب ، وما كان للبشرية أن تلمس هذه الحقائق التى أشار اليها القرآن عن خلق الانسان ومراحل تطور الجنين لولا اختراع المجاهر (الميكروسكوبات) منذ ثلاثة قرون ، ولولا ظهور علم التشريح وعلم الأجنة .

فهل يعقل مع هذا من يشك فى عبوديته لله والايمان برسالته ؟ والا فمن أين هذا الاخبار الصادق الذى يصور فى دقة مذهلة مراحل تكوين الجنين وهو أمر خفى يحيط به الغموض من كل جانب « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » هى المشيمة داخل الرحم ، والرحم داخل البطن ، والبطن التى هى من جسم الأم ، لا ينفذ الى الجنين منها ضوء ولا ماء ولا هواء ، ولو وصل اليه شيء من هذا الأنهى عليه وأودى بحياته ، سبحانك ربى فأنت القادر الخالق المصور فأنت العليم البصير منك البدء واليك المصير .

وكثيرا ما دفع التخبط والحيرة فى أمر خلق الانسان وتطور مراحله جنينا البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة فرأى فريق من العلماء أن المادة الحية (البروتوبلازم) لا تخضع فى تفاعلها للقوانين العادية والرياضية الثابتة ولكنها تتم بتدخل قوى خارجية غير عادية لها هدف معلوم وسياسة مرسومة لاحداث هذه التفاعلات يوضح ذلك ما قاله اخناتون فرعون مصر الذى وجه الناس الى دين الله ، وبين لهم ما فى خلق الانسان وتكوينه من دقة تدل على الخالق وقدرته .. يا مانحا الحياة للصغير فى بطن أمه متوليا شئونه فى الرحم ، انك تمنح القدرة على التنفس كى يبقى كل من تخلقه

حيا لحين خروجه من الرحم ، وهذا ارسطو الفيلسوف المتقدم فى العصور المتقدمة ينتهي من دراسته لبيضة الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الفرخ الى أن هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية لتحقيق أغراض خاصة وهكذا حتى يكتشف أحد العلماء فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى سنة ١٨٢٨ على وجه التحديد ان الكائنات الحية تتكون من خلايا ، وأن البيضة والحيوان المنوى خليتان مستقلتان .

وهو ما يتفق مع قول الله سبحانه : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . . » أى من بين صلب الرجل وترائب المرأة أى عظمتى الصدر المتصلتين بالمبايض التى تفرز البويضة التى يتم تلقيحها بالحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل والبينية فى الآية تشير الى أن الجنين يتكون من مجموع هذين الأمرين أى من النطفة المتزجة التى يعبر عنها فى الطب الحديث (بالبويضة الملقحة) .

حقا وصدقا ، وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن الذين جحدوا به كذبوا بما لم يحيطوا به علما ولما يأتهم تأويله . فآيات الأجنة فى القرآن من أهم الأدلة التى تثبت معجزة القرآن العلمية ، فان العلم لم يصل الى الحقائق التى جاء بها القرآن الا فى قرون متأخرة وها هو العلم فى العصور المتأخرة يقرر أن الجنين عند اكتمال نموه يكون محاطا بثلاثة أغشية صماء ــ كما قلنا ــ لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة ، وهكذا بالنسبة لترتيب خلق الحواس ، وبصمات الأصابع التى يشير اليها قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » وقوله جل شأنه « . . شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . . » . .

تخيرت أن أكتب أول ما أكتب لقراء هذه المجلة فى الآيات النفسية متلمسا ما فيها من متع روحية ، والمتع الروحية أسمى وأفضل من كل متع الحياة، وانها خير علاج وأنجع دواء، فحياة الانسان تبدأ قبل بروزه على وجه الارض بالاستكناه فى بطن أمه ، ويختمها برحلة الاستكناه فى بطن الأرض ، والذى بينهما هو مرحلة السفر الى المقر الأخير والمنتهى عند السميع البصير كما فهم ذلك الفلاسفة ، ونوه به الامام الغزالى .

وقد أعطى كثير من الباحثين فى مختلف العصور حياة الانسان على ظهور الارض اهتمامهم فكتبوا فى ذلك كثيرا ، كما أعطوا مرحلة النهاية من بدئها الى ما شاء الله قسطا غير قليل أيضا ، أما المرحلة الأولى والانسان جنين فى بطن أمه فهى التىرغبت فى أن أتكلم عنها لما تؤدى اليه معرفتها من ايمان بالله صادق ويقين ثابت انه الحق وأنه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير ، وان من تأمل أطوار الجنين العجيبة وترتب كل منها على ما قبله تأملا صادقا كان جديرا أن يكفر بطاغوت الماديين وما يقول به الجاحدون الملحدون . .

والكلام عن خلق الانسان فى بطن أمه أمر قريب بعيد : قريب للامسته لنا فى أقرب شئوننا وفى حركتنا وسكوننا فهذا الانسان بدأ من نطفة خرجت نتيجة الشهوة التى ركبها

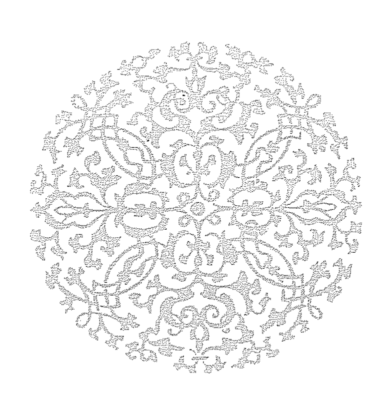
الله فى الانســـــان فكان الوجود الانســانى ، وانتشر عــــلى الارض يديرها ويعمرها ويصرف شئونهـــا بأمر الله ، وبعيد لغفلة الناس عـــن تدبره والنظر فيه واغفالهم لما فيــه من عبر وعجائب تخر لهـــا جبــــاه الفلاســفة والعلماء والباحثين ، وهو حرى أن يكون موضع النظر فهـــو مما يكلف الناظر طاقة ومجهودا ، وهو مما يملأ نفســه بالعلم والحكمة ، ويدل على نفســه وربـــه .

والحق ان نظرة الانســــــان الى نفســه تتشــعب فى جهات عدة ، ونواح مختلفة ترجع الى ذاته وما يقوم بــــه من اعراض وصفات كل ما فيها يدل على الله ، وترشد الى مافيه من عظمة وقدرة وهو فى حقيقته حقل للنظـــر والتجارب التى يعرف بها الفرق بين المخلوق والخالق ، والكشف عن هذه الحقائق وتصويرها للناس خير هاد ومرشد للحق وموجه للايمان الكامل بالله واليوم الآخر ، ومتى اكتمـــــل الايمان باللــــــه فى نفوس الأفراد والجماعات صلح أمرهـــم ، وقويت هممهم وعلا شأنهم ، وزالت معـــالم الجريمة من بينهم واصبح المجتمــع نقيا طاهرا .

والانسان متى آمن كان حريا أن ينأى عن الشرور والآثام وأن يقبـــل على الخير ويبادر الى الطاعـــات ويستفيد من دنياه لأخراه ، فالفضائل الاجتماعية غالبا ما تكون من آثـــار الايمان بالله والبعث اذ القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الحياة ولا تقهرها الرجال ولا تمنعها الحوائل ، وهـــو السبيل الى التماسك بين الآخذيـــن بحبــله لأنه يؤلف القلوب على الخير ويجمعها على البر ، وما أحوجنا فى مجتمعنا الى هذا .

والايمان حقا هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالـــة ، ومنار السالكين الحائرين ، وأمـــان الخائفين وناصر المجاهدين فهو المعين الفياض الذى تستمد منـــــه الارادة القوية سر قوتها لأنه الأساس لجميع الفضائل ...

والى لقاء آخر فى نفس الموضوع .



٢

مبادئ المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي

للدكتور
وهبة الزحيلي

وهناك مبادىء كثيرة أيضا تستقل بالمسئولية الجنائية بالاضافة الى بعض المبادىء السابقة المشتركة بين نوعي المسئوليتين : المدنية والجنائية ، وأهم هذه المبادىء ما يأتي :

اولا — لا يطل دم الا بحق :

اي أنه لا يستباح ولا يهدر دم انسان الا بحق شرعي ثابت ، لأن اهدار الدماء بغير حق عدوان أثيم على افراد البشرية ، لذا حدد الاسلام بكل وضوح الاشخاص الذين يجوز قتلهم قصدا وهم كأصل عام ثلاثة . روى الجماعة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » فدل هذا الحديث على انه لا يحل اراقة الدم عمدا الا اذا كان الزاني محصنا (اي متزوجا) فيرجم بالحجارة ، أو كان قاتلا عمدا عدوانا ، أو مرتدا عن الاسلام بأي ردة كانت — والعياذ بالله — .

وهذا الحصر الوارد في الحديث لا يمنع من اقرار مشروعية قتال الأعداء والصوال (اي العادين على الناس) والبغاة (اي الثوار بتأويل

حق أو ولاية) ، لأن قتلهم ليس قصدا وانما لدفع شرهم وعدوانهم ، وذلك بأدلة شرعية أخرى ، لذا أقرت جميع الشرائع مبدأ الحرب الدفاعية ، والدفاع الشرعي .

وقد عظم الاسلام شأن الدماء ، فقال تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض ، فكأنما قتل الناس جميعا » وقال صلى الله عليه وسلم : « قتل المؤمن أعظم عند الله تعالى من زوال الدنيا » « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » وأوصى سيدنا على فى كتابه للأشتر النخعى فقال : « اياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة : من سفك الدماء بغير حقها .. » .

وقال فقهاء الحنابلة : « الأصل فى الدماء الحظر الا بيقين الاباحة » وقال الحنفية : « الآدمى معصوم ليتمكن من حمل أعباء التكاليف ، واباحة القتل عارض سمح به لدفع شره » وقال الامام مالك : « لا ينبغى لمسلم أن يهريق دمه الا فى حق ، ولا يهريق دما الا بحق » .

ثانيا — لا يسأل أحد عن جريرة أحد :

أى أن العقاب فى الاسلام أمر شخصى لصيق بالجانى نفسه ، فلا يتحمل مسئولية الجناية غير الجانى ، هذا هو مبدأ المسئولية الشخصية الجزائية ، وبه هدمت الشريعة نظام الجاهلية فى أمر القتل الذى كان يعتبر جميع أفراد القبيلة مسئولين عن جناية الواحد منها ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر ... » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ، ولا بجريرة أخيه » وقال لأبى رمثة وابنه : « انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » وقال أيضا : « لا تجنى نفس على أخرى » .

وهو مبدأ عام فى كل أنواع العقوبات الشرعية ، أما نظام العاقلة الذى كان يقضى بتحمل عصبة القاتل قتلا غير عمد دية المقتول ، فهذا أمر استثنائى أقر به الاسلام النظام العربى المتبع فى الجاهلية حينما كانت رابطة القبيلة فيما بين أفرادها تقوم على أساس التناصر والتعاون ، فالقاتل لم يقترف جريمة القتل الا باعتماده على قوة أسرته أو قبيلته التى ينتمى اليها ، فكأن الجريمة منسوبة ضمنا الى كل فرد من أفراد العاقلة .

ومع ذلك فان الجانى اليوم هو الذى يتحمل وحده فى ماله الخاص دية القتيل ، لزوال نظام العشيرة وتفكك الأسرة ، وفقدان معنى التناصر بين أفرادها ، قال فى الدر المختار ورد المحتار : « اذا لم يكن للقاتل عاقلة ، فالدية فى بيت المال ، لأن جماعة المسلمين هم أهل نصرته ، وبما أن العشائر قد وهت ، ورحمة التناصر بينهم قد رفعت ، وبيت المال قد انهدم ، فتعين أن تكون الدية فى مال الجانى » .

ثالثا — الشريعة أساس الحكم على الجريمة والعقاب :

ان المبدأ السائد فى القوانين الوضعية الجزائية هو « لا جريمة ولا عقوبة الا بالنص » وذلك لحماية حقوق الأفراد وحريتهم فى أفعالهم وتصرفاتهم ، الا أن الفقه والقضاء الحديث اتجه الى ضرورة التخفيف من حدة هذا المبدأ وتوسيع سلطة القاضى فى تقدير العقوبة أو ايقاف تنفيذها أحيانا ، منعا من جمود

التشريع الجنائي وتخلفه عن مسايرة التطورات الحديثة .

وقد اتهمت الشريعة الاسلامية جهلا وغلطا بأنها تترك أمر التجريم والعقاب مطلقا للقاضي ، ومنشأ هذا الظن الآثم عدم وجود تقنين خاص بالجرائم والعقوبات عند المسلمين .

لكن عدم وجود تقنين بالمعنى الضيق لا يعني أن القاضي حر التصرف من حيث المبدأ في التجريم والعقوبة ، وانما هو مقيد بأحكام الشريعة وبما تضعه الدولة له من نظام يسير عليه ، فلا مانع في الاسلام من وضع تقنين خاص بالعقوبات ، لأن الامام أو الحاكم الأعلى مفوض اليه أصل فكرة العقوبة التعزيرية ، كما هو الحال في حق كل دولة بأن تضع ما تشاء من الأنظمة والقوانين الداخلية ، فهو أصل دستوري في الاسلام وغيره ، لا ينافي تقدير العقوبة وتجريم الفعل بقانون خاص يلتزمه القضاة ، والدولة مقيدة في ذلك بما يحقق الصالح العام ومقتضيات الزمان وتطور الأحداث .

والقاضي له سلطة تقديرية فقط في تطبيق المبدأ أو القانون المتبع حسبما يرى ملائما لظروف الجريمة والجاني ، وذلك في غير دائرة القصاص والحدود (أي العقوبات الشرعية المقدرة نصا في القرآن أو السنة) ومن المعلوم أن في الشريعة بيانا كافيا لشؤون الحرام : وهو كل ما يصادم المبادىء الأساسية الكلية : وهي الدين الحق ، والنفس والعرض والعقل والمال . وهذا الاجمال أبانه الفقهاء في كتبهم ووضعوا للقاضي وغيره تصنيفات متعددة بالجرائم والعقوبات ، وعلى كل مسلم ومسلمة كواجب ديني تعلم ومعرفة كل ماله صلة بالحلال والحرام ، حتى لا يفاجأ أحد بعقاب صاحب السلطة المنفذ لأحكام الشريعة ، ولا يحق للقاضي بعدئذ ان يجرم فعلا أو يعاقب بعقاب لا تألفه الشريعة ولا يعرفه الناس .

بل ان فقهاءنا سبقوا القانونيين الى معرفة قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة الا بنص » فقرروا القاعدتين التاليتين :

١ ــ « لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص » .

٢ ــ «الأصل في الأشياء الاباحة»

ومصدر هاتين القاعدتين قول الله تعالى : « وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقوله سبحانه : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وقوله عز وجل : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فهذه النصوص القرآنية قاطعة بأن لا جريمة الا بعد بيان ، ولا عقوبة الا بعد انذار . وصرح علماء الأصول من الحنفية بأنه لا يجوز القياس في الحدود والمقدرات الشرعية .

والخلاصة أن الشريعة تلتقي مع القوانين في بيان واحترام مبدأ قانونية أو شرعية الجرائم والعقوبات كل ما في الأمر أن القانون حدد ذلك بمجموعة قانونية خاصة ، وأما الشريعة فيمكن معرفة الجريمة والعقاب فيها اما في القرآن أو في السنة النبوية ، أو باجماع المجتهدين أو فتاويهم ، وهذا لا يحتاج الا الى تنظيم وتصنيف لا مانع منه في الاسلام كما عرفنا .

والعقوبات كما هو معروف نوعان : مقدرة وغير مقدرة ، فالأولى هي الحدود والقصاص والثانية هي التعزيرات ، والتفويض في شأنها للدولة كأصل دستوري عام ، والقاضي ملتزم بما يأمره به الحاكم الأعلى المقيد بأوامر الشرع ونواهيه والسلطة الممنوحة للقاضي محصورة في شأن

التطبيق فقط ، فيصدر حكمه الجزائي بحسب ظروف الجاني وطبيعة الجريمة . وبذلك فان الشريعة الاسلامية تكون قد ابتدأت فى العقوبات التعزيرية بما انتهت اليه القوانين الحديثة .

رابعا ــ الحاكم هو الذى يتولى تطبيق العقاب الجنائى :

ان الحاكم أو نائبه هو الذى يختص بتطبيق العقوبات ، سواء أكانت مقدرة أم غير مقدرة ، حفظا للنظام ، ومنعا من الفوضى ، ودرءا للفساد ، وانتشار المنازعات بين الناس ، قال الكاسانى صاحب البدائع : يقيم الحد الامام أو من ولاه الامام . وقال الماوردى : « مما يلزم الحاكم من الأمور العامة : اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك » وقال الدردير المالكى : « لا يجوز لأحد تأديب أحد الا الامام أو نائبه ... أو الزوج لنشوز زوجته أو تركها نحو الصلاة اذا لم ترفع للامام ، أو الوالد لولده الصغير ، أو معلما » وقال المحب الطبرى « وعلى الغاصب التعزير لحق الله تعالى ، واستيفاؤه للامام » وقال العز بن عبد السلام : «لا يستوفى أحد حق نفسه بالضرب»

فهذه العبائر تدل على أن العقاب يطبقه الحاكم ، ولا يجوز لانسان لا سلطة عامة شرعية له أن يمارسه ، بدون اشراف الحاكم ، لذا فان عادة الأخذ بالثأر حرام ابطلها الاسلام ، اذ لا فائدة منها سوى توسيع دائرة القتل ، وتوالى الويلات والجرائم ، وتوليد الأحقاد ، واثارة العداوات التى لا تكاد تنتهى ، فيفشو وباء اراقة الدماء فى المجتمع ، ويصبح الأمن العام مهددا بالأخطار ، لذا قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

واذا كانت الشريعة تجعل حق القصاص لولى الدم : وهو وارث القتيل ، بأن تفوض له تنفيذ القتل ، فان ذلك مشروط بأن يكون تحت اشراف الحاكم الذى يتولى اثبات الجريمة واصدار الحكم الجزائى بشأنها حسما للفوضى والنزاع . وهذا التدبير لا ضرر فيه على الجانى ما دام الجلاد أو غيره سيقتله ، بل انه أشفى لألم المصاب ، وقد يكون ادعى لرحمته وعفوه عن القاتل حينما يراه تحت سلطته ، ويقتصر حينئذ على الحق العام وهو تعزير الجانى بالحبس ونحوه بما يراه القاضى زاجرا له ولأمثاله ، كما سنبين .

خامسا ــ تكافؤ الدماء والمساواة فى العقوبات :

الناس جميعا فى تقدير الشريعة متساوون فى الحقوق والواجبات ، وفى الحدود وسائر العقوبات وفى تكافؤ الفرص ، لا فرق بين غنى وفقير ، وشريف ووضيع ، وحاكم ومحكوم ، وسيد ومسود ، والدماء متساوية بين السليم والمريض والعالم والجاهل ، والعاقل والمجنون والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، والمسلم والمواطن المعاهد ، والجماعة والواحد ، فاذا اعتدى واحد على آخر ، فقتله ، اقتص منه تحت رقابة ولى الأمر ، دون تفرقة فى الجنس أو الجنسية أو العنصر والعرق ، أو اللون أو الدين . والمساواة لازمة أيضا بين الجريمة والعقاب حفاظا على أمن المجتمع والجماعة ، والفرد والأسرة ، وتحقيقا لأصول الحرية ، وصونا للكرامة الانسانية .

لذا قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا

كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .. » ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ... » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ... » وقال بشأن الشفاعة فى فاطمة المرأة المخزومية التى سرقت : « انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » . وقال فى آخر حياته الشريفة : « الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » أى فليقتص منه .

وقال ابو بكر لرجل شكا اليه عاملا قطع يده ظلما : « لئن كنت صادقا لأقيد بك منه » أى لأقتص لك منه . وثبت أن عمر قال : « انى لم ابعث عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فعل به ذلك فليرفعه الى أقصه منه .. » وقال عمر ايضا فى كتابه الى سعد ابن أبى وقاص : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

سادسا ـ القصاص لا يتجزأ :

يعنى أن القصاص أو عقوبة الاعدام لا يقبل بطبيعته التجزئة ، فلا يمكن استيفاء بعض القصاص دون بعض اذ أن القضية اما موت أو حياة ، فاما أن يطبق اذا لم يكن هناك مانع شرعى من تطبيقه ولو اشترك فى الجريمة اكثر من واحد ، واما الا يطبق .

فاذا ثبت حق القصاص لجماعة ، فهو حق كامل يستقل به كل واحد منهم بالمطالبة به ، لنشوئه عن سبب لا يتجزأ ، وبناء عليه قال أبو حنيفة والمالكية : يحق لورثة القتيل الكبار طلب القصاص دون انتظار كبر الصغير ، وصحو المجنون ، بدليل قول سيدنا على لابنه الحسن عندما ضربه ابن ملجم أخزاه الله : ان شئت فاقتله ، وان شئت فاعف عنه ، وأن تعفو خير لك ، فقتله الحسن ، وكان فى ورثة على صغار السن .

وخالف فى ذلك الشافعية والحنابلة وصاحبا أبى حنيفة فقالوا : لا يجوز لبعض ورثة القتيل استيفاء القصاص الا باذن الباقين ، فان كان احدهم غائبا أو صغيرا أو مجنونا ينتظر قدومه أو بلوغه أو افاقته ، لأن القصاص حق مشترك بينهم .

ومن أمثلة هذه القاعدة أيضا : لو عفا أحد الورثة المستحقين للقصاص ، حتى ولو كان زوجا أو زوجة ، صح عفوه ، وسقط القصاص فى قول أكثر العلماء منهم أئمة المذاهب الأربعة ، لأن العفو عن القاتل أورث شبهة فى الاستحقاق ، والقصاص لا يستوفى مع الشبهة ، ولأن العفو أسقط نصيب العافى ، فيسقط نصيب الآخر ، لعدم امكان تجزئة القصاص .

واذا اشترك اثنان فأكثر فى قتل شخص ، يقتلون جميعا باتفاق المذاهب الاربعة ، لأن زهوق الروح لا يتجزأ ، ولا يمكن قسمته بين الجناة الشركاء فى الجناية ، واشتراك الجماعة فى أمر لا يتجزأ ، يوجب عقابا كاملا فى حق كل منهم ، كأنه لا يشاركه فيه غيره ، وهذا الحكم

ثبت باجماع الصحابة ، لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل سبعة أنفس من أهل صنعاء قتلوا رجلا ، وقال : « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا » .

واذا اشترك اثنان فى قتل رجل : أحدهما ممن يجب عليه القصاص لو كان منفردا بالجريمة ، والآخر لا يجب عليه لقصور أهليته أو خطئه أو لكونه والدا للمجنى عليه ، أو لأنه غير انسان ، فلا يقتص فى مذهب الحنفية والحنابلة من الأول ، مثاله اشتراك صبى مع بالغ ، ومجنون مع عاقل ، وخاطىء مع عامد فى قتل شخص ، أو اشتراك والد مع آخر أجنبى فى قتل الابن ، أو اشتراك رجل مع سبع أو حية فى اماتة انسان ، فلا قصاص لوجود الشبهة فى فعل الأول ، ولا يطبق القصاص مع الشبهة ، ولأنه حق لا يتجزأ ، لكن تجب الدية عليهما .

سابعا — اذا سقط الحق الخاص فى العقاب بقى الحق العام :

العفو عن القصاص والعقوبات أمر لازم كالابراء عن الديون ونحوها من التصرفات التى لا تحتمل الفسخ أو الرجوع .

واذا سقط عقاب القصاص أو غيره من حقوق الشرع الخالصة بالعفو من صاحب الحق فيه ، أو بسبب آخر ، بقى حق المجتمع الذى يمثله الحاكم ، فله تعزير الجانى بالجلد أو بالسجن أو بما يراه محققا للمصلحة العامة ، لأن للجماعة حقا فى أصل العقاب للتأديب والزجر ، وهذا من مقتضيات السياسة الشرعية فى مذهبى الحنفية والمالكية .

الا أن الامام مالك حدد نوع التعزير ، فقال : اذا عفا ولى الدم عن القاتل عمدا ، يبقى للسلطان حق فيه ، فيجلده مائة ، ويسجنه سنة .

وفوض الحنفية أمر العقاب حينئذ للحاكم فيما يراه ملائما .

وذكر الماوردى فى نطاق التعزيرات أن لولى الأمر فى الأظهر عند الشافعية أن يعزر الضارب والشاتم بعد أن عفا المضروب والمشتوم ، لأن للسلطنة حقا فى التقويم والتهذيب ، وذلك من حقوق المصلحة العامة . وقال أبو يعلى الحنبلى : ظاهر كلام أحمد أنه يسقط حق السلطان بعفو صاحب الحق فى التعزير ، ويحتمل أن لا يسقط للتهذيب والتقويم .

ثامنا — لا قصاص فى الجروح حتى يبرأ المجنى عليه :

لا يجوز اصدار حكم بالقصاص فى الجروح والأعضاء حتى يبرأ المجنى عليه ، ليعرف مآل الجراحة ، اذ أنها قد تسرى الى النفس ، فيحدث القتل فلا يعلم أنه جرح منضبط محدود الأثر الا بالبرء . وهذا هو رأى جمهور الفقهاء ، وعبارتهم فى ذلك : « لا يقاد بجرح الا بعد برئه » لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يستقاد من الجروح حتى يبرأ المجروح . واستحب الشافعية ذلك فقط عملا بأثر وارد بجواز استيفاء القصاص قبل اندمال الجرح وشفائه .

تاسعا ــ عمد الصبى وخطؤه سواء :

اتفق الفقهاء كما ذكرنا فى مبادىء المسئولية المدنية على أن اتلاف الصبى الصغير ونحوه كالمجنون موجب للضمان ، فاذا أتلف مال انسان أو استهلكه ، كان ضامنا لمثله أو قيمته فى ماله ان كان موسرا ، وينتظر يساره اذا كان معسرا ، لأن الصبى مؤاخذ بأفعاله دون أقواله ، قال ابن نجيم المصرى فى الاشباه : « ان الصبى المحجور عليه يؤاخذ بأفعاله ، فيضمن ما أتلفه » وقال البغدادى فى مجمع الضمانات : ان الصغر يوجب الحجر فى الأقوال دون الأفعال ، لأنه لا مرد لها ، لوجودها حسا ومشاهدة بخلاف الأقوال ، وان أتلف شيئا ، لزمه ضمانه » وقال الاستروشنى فى جامع أحكام الصغار : « صبيان يلعبون بالرمى ، فمرت بهم امرأة ، فرمى صبى ابن تسع سنين أو نحوه سهما ، فأذهب عينها ، قال الفقيه أبو بكر رحمه الله : الدية فى مال الصبى دون والده ، فان لم يكن للصبى مال فنظرة الى ميسرة » .

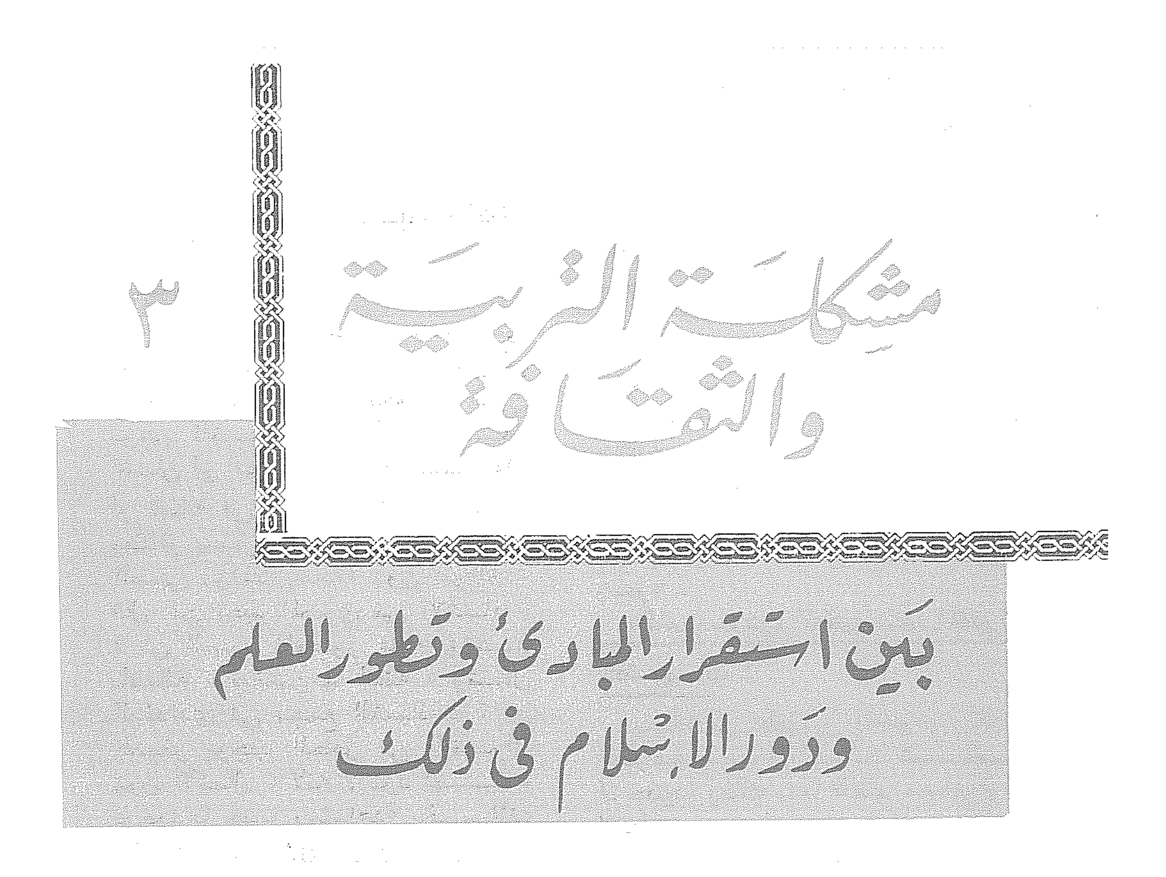
وأما فى المسئولية الجنائية ، فقال الحنفية والمالكية والحنابلة : ان عمد الصبى خطأ أى فى حكم الخطأ بالنسبة لوجوب المال والتزامه به . ومثله المجنون والمعتوه . فاذا جنى أحدهم جناية عمدا ، لا قصاص عليه ، لأنه لم يتوفر منه كمال القصد أو نية العمد ، لقصور أهليته وعقله ، ولعدم مسئوليته عن التكاليف الشرعية ، فصار فعله كالنائم وأشبه عمده الخطأ ويؤيده أن مجنونا صال على رجل بسيف فضربه ، فرفع ذلك الى على رضى الله عنه ، فجعل ديته على عاقلته بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم ، وقال : عمده وخطؤه سواء .

وقال الشافعية : الاظهر أن عمد الصبى عمد اذا كان مميزا ، والا فهو خطأ ، يعنى أنه لاقصاص عليه لعدم تكليفه بالحلال والحرام شرعا ، لكن تجب الدية فى ماله ، ولا تتحملها عنه عاقلته . واذا كان نظام العواقل قد زال الآن فمذهب جمهور الفقهاء يلتقى فى النتيجة مع مذهب الشافعية فى أن ايجاب الدية فى مال الصبى ونحوه .

عاشرا ــ درء العقوبات المقدرة بالشبهات :

يحتاط فى تطبيق العقوبات الشرعية ، سواء أكانت قصاصا أم حدودا وذلك منعا للظلم ، واقرارا للعدل ، وسترا على الخاطىء بقدر الامكان لعله يتوب بنفسه ، هذا ما لم يكثر ارتكاب الجريمة من الخاطىء ، أو يقترفها بقصد المباهاة بها ، أو يترتب عليها اخلال مستمر بأمن الجماعة عامة . وذلك يعنى أن الشك يفسر لمصلحة المتهم ودليل مبدأ الدرء أحاديث نبوية واردة بألفاظ متقاربة مثل « ادرءوا الحدود بالشبهات » « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان كان لها مخرج ، فخلوا سبيله ، فان الامام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .

أما التعزيرات فلا تسقط بالشبهة، لأن القصد منها هو الزجر والردع . هذه هى أهم مبادىء المسئولية الجنائية أوردناها للادلال على حرص الشريعة على احترام الأنظمة وتربية النفوس وتهيئة جو الأمان والاستقرار للمجتمعات على أساس من الحق والعدل والخير والرحمة والمصلحة الواقعية التى لا تعارض مقاصد الشريعة .



للدكتور : محمد غلاب

(٣)

أسلفنا فى الكلمات السابقة ذلك التشابه الذى وضعه المربون بين العناية بالشجيرات المثمرة ابان نشوئها من جهة ، وتربية الاطفال والشباب فى مراحلهم الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية من جهة أخرى . ووعدنا بتفصيل مناهج التعليم والتثقيف ، وما يجب لهذا النشء من عناية تربوية واجتماعية ، ودينية ، وها نحن أولاء نوفى بوعدنا .

المرحلة الاولى :

فيما يتعلق بالمرحلة الاولى ــ وهى تشمل الخطوتين : الابتدائية والاعدادية ــ لا يستلزم الامر كثيرا من الاختلافات أو المناقشات الا حول تنظيم المناهج ، والسير بها نحو الكمال بقدر المستطاع وجعلها مشتملة على أكبر مقدار ممكن من عناصر المعرفة التى تلتئم مع عقليات النشء فى هذه السن المبكرة . وقبل هذا كله تجب العناية باختيار المعلمين الاذكياء المختصين الاوفياء المعروفين بالجدية والسمو الاخلاقى والحزم ، والمتعمقين فى الدراسة النفسية لأن أثر الاساتذة والمربين فى هذه المرحلة بقسميها هو الاثر الخالد الذى لا يزول ولا يحول

لأنه اذا كانت الأم هى « المدرســـــة الاولى » كما يقولون ، فان أثر المدرس الابتدائى هو الذى يلى أثر الام مباشرة فى ذلك التأثير الذى لا ينمحى حتى آخر الحياة ، وأنا ان أنس لا أنسى ما حييت ذلك الاستاذ الاول الذى كان مثلا فى الايمان والاخلاق والرفعة والذكاء والحزم والشدة وحسن التقدير فكنـــا نستفيد منه ونحبه ونهابه ونشعر بذكائه وعدالته واستقامته . كل ذلك على قدر سواء ولم يكن أحد منا ولا من أهل القرية بل من أهل المنطقة يأخذ عليه شـــيئا فى دينه أو فى خلقه أو فى تأدية واجبه « كأنه يرى الله فان لم يكن يراه فانه كان موقنا بأن الله يراه » .

مرحلة المصاعب :

غير أنه ـــ بعد انتهاء هذه المرحلة بقسميها ـــ تبتدىء المرحلة الثانوية ، وتبتدىء معها المصاعب والعقبات ، لأن هذه الحقبة من حياة الشباب هى أدق حقب حياته وأكثرها خطورة وخطرا لأن فيهـــا تستيقظ الميول والرغبـــات ، والاتجاهات المتباينة ، وهنا يجب أن يعلم المشرفون على شؤون التربية والثقافة أن الاتجاهات وحدها لا تكفى لقيادة الشباب ، بل يجب أن يحذروا منها كل الحذر بوجه عام ، وأن يضعوها تحت الوصاية التربوية أو القوامة التثقيفية ، ولكن هذه القوامة تحمل فى داخلها عناصر خطيرة على حياة الشباب كلها اذا لم تنته الا الى مناقضة قانون النمو الطبيعى بارهاقه والوصول به الى الذبول .

اهمية التعليم الثانوى :

ومن أجل ذلك فاننا نشاهد أن الهجوم متجه الى التعليم الثانوى فى كل مكان من العالم تقريبا أكثر من اتجاهه الى التعليم العالى ، وأنه لا يكف فى الغالب عن أن يكون موضوعا للتجديد والتطوير . وذلك لأنه يجب أن يكون المعلم معلما وقيما فى الوقت ذاته ، وأنه ينبغى أن يعرف كيف يتخفف من الزوائد دون أن يتعرض لتهمة التآمر على حياة الثقافة . ولا ريب أن هناك اتجاهات معـــاصرة سيئة ضارة الى تطبيق المناهج الموسعة فى المرحلة الثانوية دون التنبه الى أن هذا التوسع هو من خصائص المرحلة الجامعية بخطوتيها العالية والعليا ، وذلك بسبب أن حقبة التعليم الثانوى هى حقبة التكوين الصحيح ، وفيها ينبغى ألا يمل المهيمنون على شؤون التربية من قيادة تلك العقليات الصاعدة على سلم التكوين ورقابتها وحمايتها من الفوضى الناشئة من الافراط فى التوسع . ففى هذه الاثناء النفسية من حياة الشباب ، يتخذ العقل طريقه ، ويؤلف عاداته سواء أكان ذلك بازاء حل المشكلات أم بازاء اعداد التدليل على التعقلات ، أم بازاء محاولات ايجاد الاتساق بين أجزاء القضايا التى يعمل على حلها ، وتذكر أحداثها ووقائعها . وهذه العادات هى التى يحتفظ بها كل حياته . ومن هنا أتت نفاستها وصدارتها . وبعبارة أكثر وضوحا أن هذه الحقبة هى التى ينبغى فيها تطبيق القانون القاسى الذى يتحكم فى تصرفات هذا العقل الشاب فيشذبها من جميع الزوائد الضارة أو العابثة ويكبح جموحه فيصونه عن كل انحراف حتى يصل ـــ مسلحا بجميع القوى النافعة ـــ الى المرحلة التالية التى وصفها الفيلسوف الفرنسى « تين » بأنها أغزر الحقب الانسانية ، وأخصبها انتاجا والتى حددها هذا المفكر الممتاز

بأنها تبتدىء قبل سن العشرين ، وتنتهى بعدها بقليل . وهو يعود الى اتباع وسيلة التشبيه بالشجرة كما أشرنا الى ذلك آنفا فيقول : « وفى ذلك العهد تمر سبعة أو ثمانية أعوام تصعد فيها عصارة الحياة فتغذى الاثمار أو الانتاج تغذية مستمرة لكي لا ينقطع ولا يتخلف من ورق الى زهر الى ثمر » وتلك هى الحقبة التينية نسبة الى « تين » الذى أحكم تصويرها أو حقبة التعليم العالى بفروعه المتنوعة وخطواته من جامعية ودراسات عليا على اختلاف صورها ، وتعدد اختصاصاتها ، وتلك هى الآونة التى يلقى فيها العقل بنفسه — دون أية عقبات او مصاعب — فى بحار البحوث الاشد تشعبا وتعقدا بشرط أن تكون فى داخل اطار التخصص المختار الذى يظفر فيه المجهود الشخصى بالصدارة ، ويفوز منه بنصيب الاسد .

مرحلة الدراسات العليا :

وبهذه المناسبة يحتم علينا الواجب العلمى أن نقف هنيهة عند دور أستاذ التخصصات أو الدراسات العليا فنعلن أن هذا الدور هو الانارة والتوجيه والقيادة فى رحاب الحرية والاستقلال .

١ — فالانارة هى كشف المصادر الضرورية ، والمراجع اللازمة لا لتكوين البحث المعد فحسب ، بل لجعله عميقا ممتازا فى السير نحو الكمال ، مسهما فى الخلود بقدر المستطاع ثم تبين الفروق بين المصادر الاصيلة ، والمصادر الدخيلة ، ودرجات أو دركات كل منها فى الاصالة والدخالة ، وشرح ما يجب على الطالب الاعتماد عليه بلا ضرورة تلجئه الى ذلك وما لا ينبغى الاعتماد عليه الا لضرورة قاهرة .

٢ — والتوجيه هو ارشاده الى مواطن الضعف فى بحوثه ، ومواضع الكبوات والاخطاء منها ومناقشته فيها ، وتعويده على مزاولة النقد العادل النزيه الذى لا يعرف التحامل ، ولا يألف التحيز أو الميل ، وتمرينه على النظر فى أدلته التى يدعم بها نقده ، وعلى تأييد آرائه ومساندتها فى ظل المنطق ، وفى دائرة آداب البحث التقليدية ، واشعاره بأن لديه أوسع أنواع الحرية ، ونصحه بأن يشذب مناقشاته ويصقلها ويعيدها الى الاستقامة كلما انحرفت عن الطريق السوى وأن يؤمنه من غضب الاستاذ حتى يشجعه على مساندة الحقيقة وتعقبها فى مسالكها الشائكة المتعرجة حتى الظفر .

٣ — والقيادة هى محاولة جذبه الى التنقيب الواعى عن الحقيقة من حيث هى دون أى اتباع لأهوائه الخاصة أو ميوله الشخصية واذا لم يهتد الى جميع المسالك الموصلة الى الحقيقة أو وجد طرق الاقدمين مسدودة أو ملتوية أرشده الى طرق أخرى لم يستغلها أحد أصلا أو استغلت وأسىء استغلالها وأبان له معالمها وأرشده الى تحسين ما أساء القدماء من استغلالها ثم وضعه على مبدئها ورسم له الخطة أو الخطط الضرورية المؤدية الى النجاح فى الابداع أو التجديد .

وأخيرا يجب على الاستاذ أن يعود طالب الدراسات العليا على أن يكون صعب المراس فى البحث فينبذ أنصاف الحلول ، وأن ينفر من النهايات التقريبية لأن التعليم العالى له — فى تقييم الشعوب والمفاضلة بينها — أرفع مكانات الصدارة والامتياز . وفى هذا يقول « جول فيرى » الوزير الفرنسى الخالد الذكر ما يلى :

« ان مراحل التعليم الاولى تحتفظ للأمة بمكانتها بين الدول الراقية ولكن التعليم العالى يضمن لها الصدارة على غيرها » .

غير أن هذا التعليم العالى على صورته العامة — وان كان يحفظ للأمة صدارتها على الامم الاخرى — هو لا يكفى لتحقيق الخلود ، بل ان الذى يحقق ذلك الخلود هو انتاج الموهوبين والعباقرة والفائقين الذين يشار اليهم فى عصورهم بالبنان ، ويكتب التاريخ أسماءهم بحروف النور فى سجلات الابدية . والا فماذا استفادت « اسبرطا » و « قرطاجنا » من أبهتهما وفخفختهما ووفرة الهناءة والقوة الماديتين فيهما ما دام أن هاتين المدينتين اللتين لا روح فيهما ولا موهبة ولا عبقرية قد عفى عليهما الزمن ، بل كاد التاريخ أن ينسى وجودهما لولا أنه يذكرهما بسبب حروبهما مع غيرهما بل أن أطلالهما هى وحدها الدالة على أماكنهما . بينما أن أثينا والاسكندرية اللتين انتزعتا خلودهما من انتاج موهوبيهما وعباقرتهما فى الفلسفة والادب والفن والعلوم ستظلان خالدتين أبداً ما دام فى الانسانية عقول وتفكيرات ولو زالت معالمهما المادية من الوجود ولا قدر الله لأن التاريخ سيذكرهما دائما منحنى الرأس أمام عظمتهما وجلالهما . وذلك لأن اجماع العقلاء منعقد على أن الشعوب لا تسلم من الفناء ولا تخلد الا بسبب حياة قيمها العقلية والروحية والدينية ، وتجديدها المستمر .

دور التثقيف :

بقى علينا الآن أن نعرض لدور أخطر من أدوار التربية ، وهو دور التثقيف العام الذى تقوم به على الاخص مرحلة التعليم الثانوى ، والذى يهيىء لأبناء الأمة كثيرا من فرص الاثمار النافع والانتاج المفيد ويجعلهم قادرين على الاسهام فى السير بها الى الامام بحظوظ متنوعة ، ويعد الموهوبين منهم للبروز والارتقاء الى درجة الصفوة الممتازة . ومن ثم فان علماء التربية يجعلونه فى مقدمة أدوار التعليم الثانوى الى جانب دور المناهج التربوية وان كان يختلف عنها فى الانظمة ذوات الاطارات المحددة باللوائح والقوانين .

ومن دواعى العناية بهذا الدور التثقيفى أنه أكثر شمولا من اطار التعليم العالى الذى كان الى عهد قريب محتفظا به لقلة محدودة من الشباب . ولو أن هذه القلة ، ولله الحمد ، قد طفقت — بفضل وثبتنا الحاضرة ونهضتنا المتلألئة — تزداد باطراد صاعد متواصل ، الا أنها لا تستطيع أن تستوعب العدد الضخم الذى يحتويه التعليم الثانوى .

واذن فمن المهم أن يفهم الشباب عند نهاية المرحلة الثانوية كل ما ينبغى له فهمه وأن يتعلم كل ما يجب عليه أن يحرزه لكى يكون مثقفا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لأن كون الفرد مثقفا ليس معناه كونه عالما متخصصا فى أية مادة بعينها ، وانما الثقافة الحقيقية هى حالة عامة بل هى فى أحد معانيها متعارضة مع التخصص .

حقا انه يقال ويعاد كثيرا فى هذه الأيام ان التخصص هو الشىء الوحيد المرغوب فيه فى عصرنا الراهن لأن مجتمعنا الحالى فى حاجة الى شخصيات متفوقة فى محيطاتها بل يقال ان التخصص هو الممكن الوحيد الآن لأن أحجام المعارف قد تزايدت بافراط الى حد أن العقل البشرى لم يعد يستطيع أن يحتويها ، بل ولا أن يتلقاها . ولكن هذه الحجج التى تؤيد التخصص وحده ، وتحاول النيل

من قيمة الثقافة العامة لا تساوى شيئا . ولهذا تجب مزاولة التثقيف منذ بدء المرحلة الثانوية . وذلك يقتضى أن تتخلص المناهج من الكميات التى ظهر بطلانها أو شاخت من المعارف وأصبحت لا تنتج الا مزاحمة المناهج عبثا وبلا فائدة على نحو ما أحدثته ثورة الفكر الاوروبى الحديثة بازاء منتجات « المدرسين » فى العصور الوسيطة فأوسعت المجال لغيرها من المعارف المفيدة .

رعاية الشباب :

وليس هذا فحسب بل ينبغى السهر على رعاية الشباب فى خارج المدارس وفى المنازل ، وحفظه من دوامة الصور المرئية والمسموعات التى تقدمها اليه الافلام السينمائية والتليفزيون والراديو . وليس معنى هذا أن منتجات هـذه الآلات كلها ضارة يجب تجنبها كلا بل ان الخليط المركب من كثير من الشر وقليل من الخير ، ودوام مزاولة رؤيته وسماعه أو الافراط فيهما ، هو الذى يوقف عجلة التفكير النافع ، ويقضى على جهود التأمل المفيد ، ويشل حركة الارادة ، ويجعل الشباب سلبيا ، ويفقده أعز الاوقات وأنفسها .

ومما ينبغى أن ننوه اليه هنا قبل مغادرة هذا البحث هو أن المتخصص الذى لم يتثقف بالثقافة العامة كان ينظر اليه فيما مضى كأنه عضو غير متكامل . وأن فنانى « النهضة » كانوا أعظم فنانى جميع العصور بفضل ارادتهم التى استقرت على « ألا يبقوا أجانب عن أى شىء » على حد ذلك التعبير الجميل الذى سجله الاغريق الاقدمون . وتلك هى عينها فكرة عمومية المعرفة التى هى ينبوع مجد أسلافنا من مفكرى المسلمين كالفارابى وابن سينا ، واخوان الصفا ، والغزالى ، ومحيى الدين بن عربى ، ومن آيات ذلك ما نراه فى مؤلفاتهم من بحور العلوم المختلفة واجاداتهم الفائقة فى كل مادة من هذه المواد التى تقصر عن الاحاطة بها جهود البشرية . ومن يرتاب فى هذا فليس عليه الا أن يلقى نظرة فاحصة فى الشفاء أو النجاة أو رسائل اخوان الصفاء أو فى الفتوحات المكية أو ما كتبه الامام الغزالى فى المنقذ من الضلال عن سعة اطلاعه وترامى معارفه ، أو ماكتبه الامام الشعرانى عن معارف محيى الدين بن عربى ، وثقافته الشاملة المحيطة . وليس هذا فحسب بل اذا نظرنا فيما يكتبه عظماء نزهاء المستشرقين عن هؤلاء الاماجد ألفينا فيها العجب العاجب الذى يرضى العقول ، ويسحر القلوب قبل أن يبهر لألاؤه الابصـــار . ومن ذلك على سبيل المثـــال ما يعبر به المستشرق الفرنسى الشهير البارون « كرادى فو » فى كتابه « ابن سينا » عن أعجابه بهؤلاء المفكرين الذين كان ايمانهم بالعقل بعيد المدى ، والذين بلغت معارفهم من التنوع والامتداد الى حد خليق باثارة اعجاب علماء العصـــور الحديثة ومتخصصيهم الممتازين .

ولقد استمرت هذه الثقافة العميقة الضليعة التى لا يضايقها التخصص ولا يغلق فى وجهها الابواب أو استمر ذلك التخصص الواعى الذى لا تشوش عليه وفرة الاطلاع المترامى الاطراف الى ما بعد القرن العاشر الهجرى ، فكنت ترى منذ نشأة الازهر الى القرن الماضى العلوم المتنوعة تدرس فيه ســـاطعة متلألئة دون أن تمنع وفرتها أولئك الجهابذة من مزاولة التخصصـــات المتعمقة واتقانها الى حد ايجاد الاعاجيب والمعجزات .

ولكن هذه الحركة الممتازة لم تلبث أن أصيبت بنوع من الشلل أقعدها عن

النهوض الثقافى وحصرها فى اطار محدود سميك صفيق لا يسمح بمعرفة أى شىء سوى ما هو مسجل فى الكتب التقليدية التى جعل يتوارثها التلاميذ عن شيوخهم ، وكأنهم جميعا يمثلون أهل «كهف أفلاطون» الموثقين الذين لايستطيعون الالتفات الى الوراء حتى يروا الحقائق المطلقة على ضوء الشمس المعنوية فصاروا يكتفون بالأدلة النقلية ولا يفكرون فى أن هذه الأدلة لا تقنع الا المسلمين الذين يؤمنون بصدق القرآن والاحاديث ولكن الانظمة التجديدية التى تعاقبت على هذه الجامعة التليدة جعلت تنقذها من ذلك الخمول شيئا فشيئا .

وبعد ذلك كله ومرة أخرى نعود الى ما أشرنا اليه آنفا عن المرحلة الثانوية فنقرر أنها من أفضل الحقب ، ومن خير الوسائل لتقوية ارادات الشباب وظفره بغزارة الثقافة واتساع الافق . ومن ثم ينبغى أن يفهم المهيمنون على التثقيف أنه يجب عليهم أن يضعوا فى أذهان الشباب أن نتائج سنى هذه المرحلة النفيسة يجب أن تبقى خالدة فى عقولهم ، كما ينبغى أن يثبتوا فى أذهانهم أن كلمة المعرفة معناها على الاخص امتلاك المعارف بصورة نهائية أو الاستيلاء عليها مدى الحياة ، ومما لاريب فيه أن طول المناهج ، وتراكم المواد ، وتزاحمها فى تلك العقول الشابة تضطر المعلمين والتلاميذ الى الهرولة بخطى سريعة فى ممرات العلوم وبين هياكلها دون المقدرة على أن تثبت الى الابد فكرا واضحة كتلك المواد فى هاتيك العقول الناشئة التى لا تحتفظ بها الا ريثما تنتهى الامتحانات ، ثم تنسى على أثر ذلك كل شىء . وأن ننس لا ننسى عبارة الاستاذ « هنرى توريس » أحد أمجاد المحامين الفرنسيين المعاصرين اذ يقول فى هذا الشأن ما نصه : « ان العقل ينبذ فى عنف ، ما أدخل فيه بعنف » .

واذن فالحل الامثل لهذه المعضلة هو تقديم العروض الثقافية الى التلميذ مركزة ، ولكنها واضحة منظمة محددة ، لكى يتلقاها كما يتلقى مفردات اللغة . ولكى تبقى المعارف فى عقله الى ما بعد زمن الدراسة .

وليست الغاية المقصودة هنا هى الاحاطة الشاملة ، بل هى ايجاد عقول مفتحة مزدانة بكل ما يرصع العقل المثقف ، وينبغى أن يتذكر المهيمنون على هذه المرحلة ، أن التلميذ — بعد أن ينتهى من التعليم الثانوى — لا يتعهد بالتنمية الا العلوم التى تجتذبه ، وأنه بالتالى يهجر الاخرى بمجرد استطاعته اختيار تخصصه . ومعنى هذا أنه اذا انتهى من المرحلة الثانوية دون ثقافة عامة منظمة متعمقة ، فانه سيبقى دائما محكوما عليه بألا يملك سوى ثقافة جزئية .

حقا ان الاستقلال للتلاميذ يبقى كاملا بحيث يستطيعون القراءة والتفكير فيما وراء المواد الجوهرية التى يتلقونها لأن الطبائع العقلية الثرية لا تشبع ألبتة ، ولكن بالنسبة الى جماهير التلاميذ ينبغى ألا يجهلوا شيئا من المواد الاساسية ، كما يجب أن يلقنوا الثقافة بطريقة متينة ، وعلى صورة خليقة بالدوام .

وأخيرا لنكن على يقين من أن الطبيب ، أو المحامى ، أو المهندس ، يكونون أقوى ، وأكثر مقدرة فى محيطاتهم الخاصة لو أن ثقافة عامة متعمقة توجت عقولهم واقتادتها نحو الشؤون الاجتماعية والانسانية . وعند ذلك فقط يؤلفون صفوة الدولة ، ويسهمون فى عظمتها ومجدها الخالدين .

هذا وسنختتم هذه السلسلة بحديثنا عن وجوب التعليم الدينى فى مدارس الدولة على اختلاف مراحلها فالى الملتقى .



العرب والحضارة

هكذا كنا . ويجب أن نكون

للأستاذ : محمد الدسوقي
المحرر بالمجمع اللغوى — القاهرة

١ — هناك حقيقة تاريخية لا يستطيع مؤرخ منصف أن يتجاهلها أو ينكرها وهى أن أوربا كانت فى القرون الوسطى تعيش فى ظلمات الفكر والعادات والتقاليد ولم تكن هناك قوانين عادلة تكفل لكل ذى حق حقه مهما تكن منزلته ، ولم يكن يعتقد أن يصير العالم الى ما صار اليه اليوم من القوة والتقدم فى شتى مجالات الحياة ، لولا العرب الذين أناروا للبشرية بعامة ، وللأوربا بخاصة ، سبيل النهضة والحضارة ، وكانوا للعالم المنقذ الذى جنب القافلة الانسانية مزالق التأخر والاضمحلال ، وأخذ بيدها الى مراقى الفكر وسنام العقل ، ففتح بذلك أمامها طريق البحث والتنقيب والدرس الذى نقلها تلك النقلة الضخمة ، فتحولت الى مجتمع ذى حضارة ومدنية لم تعرف البشرية لها نظيرا فى تاريخها الطويل .

٢ — فالعرب — أهل الجزيرة — بعد أن هداهم الله الى الاسلام حملوا أرواحهم على أكفهم ، وانساحوا فى الارض يبلغون رسالة الله الى الناس جميعا وأقبل الناس زرافات ووحدانا على اعتناق هذا الدين الجديد طوعا واختيارا ، لأنهم ألفوا فيه غذاءهم الروحى السليم ، وانسانيتهم التى طالما تعرضت — باسم الدين — لصنوف مختلفة من المهانة والتحقير والتعذيب والتسخير .

٣ — لذلك ما كاد القرن الهجرى الاول ينتهى حتى انتشر الاسلام فى مساحات شاسعة وصل الى أوربا غربا والى الصين شرقا ، وأحدث فى كل منطقة حل فيها انقلابا جذريا فى أفكارها وعقائدها ونظم حياتها ، وأنتشرت مع انتشار الاسلام اللغة العربية لأنها لغة كتابه الكريم ، وتوارت لغات اقليمية

متعددة ، وحل محلها لغة القرآن ولسان العرب واستمر هذا الى اليوم ، اللهم الا فى بعض البلاد لأسباب لا مجال لتفسيرها هنا .

٤ ــ وبانتشار الاسلام ولغته أصبح يطلق ــ فيما بعد ــ على كل مجتمع تسود فيه العربية بأنه مجتمع عربى ، وبأن أهله عرب ، وأن لم يكونوا من ناحية النسب من عدنان أو قحطان ، وأصبح عندما يتعرض لبيان أثر العرب فى مجال من مجالات الفكر ، لا يقصد بالعرب تلك الجماعات التى كانت تعيش فى منطقة صحراوية قبل ظهور الاسلام ولكن يقصد بهم كل من صارت لغتهم عربية وان لم يعتنق بعضهم الاسلام ، أو لم يكن يمت بعرق النسب الى قبيلة من قبائل العرب المعروفة .

٥ ــ وهؤلاء العرب الذين حموا الحضارة من الانهيار وكانوا لها سدنة وحراسا قد قاموا بهذه الرسالة السامية ، لأن الاسلام الذى جاءهم ، يدعو الى الحياة الفاضلة الكريمة ، ويحض على القوة فى جميع الميادين النافعة للانسانية ، وينبه العقل الى النظر والتدبر « ويجعل للعلماء مكانة عالية ، ويبين أن العلم يخدم الايمان ، وأن المرء كلما ازداد علما ازداد من الله خشية » .

والحديث عن هذه الناحية فى الاسلام يحتاج الى بحث مستفيض ، ولكن يكفى هنا القول بأن الاسلام قد فتح أمام العقل البشرى مجالات البحث والنظر ودعاه الى اقتحامها فى قوة وأن القرآن الكريم ــ دستور الاسلام ــ لا يتضمن أى حكم من الأحكام يشل حركة العقل فى سيره وتقدمه ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، وعند من رآها طلبها (١) .

٦ ــ لهذا فقد كان الاسلام انقاذا للبشرية من ضلالات الشرك والوثنية، وانقاذا لها أيضا من سيطرة الخرافات والجهل والأمية ، وأقبل العرب المسلمون على دراسة كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكانوا فى أول أمرهم يهتمون بصورة عامة بدراسة القرآن والسنة ، ليكونوا على بينة من أمر دينهم ، ولكن بعد أن استقرت حركات الفتوحات نسبيا ، تنوعت الدراسات العربية وظهر فى كل ميدان من العلم رجال أدوا أجل الخدمات للحضارة والانسانية ، وظهرت عبقريتهم فيما خلفوا من آثار علمية تشهد لهم بالسبق والفضل وتؤكد أن العرب قد وضعوا الأسس الأولى لبناء الحضارة الحديثة .

ثقافات سابقة

٧ ــ ومن الانصاف فى القول أن نذكر أنه كانت قبل ظهور الاسلام ، وقبل أن يكون للمسلمين صولة ودولة ــ كانت توجد ثقافات مختلفة ومؤلفات علمية ونظريات فلسفية فى اليونان والصين وغيرهما ، غير أن السمة الغالبة، أو العامة فى فترة ظهور الاسلام هى شيوع الجهل والخرافات والأباطيل فى كل مكان ، فأوربا كانت غارقة فى غزوات البرابرة المنحدرين اليها من الشرق والشمال ، وكان قضاء هؤلاء البرابرة على الامبراطورية الرومانية فى عام ٤٧٦م مبدأ للعصور الوسطى ، العصور المظلمة فى تاريخ أوربا (٢) .

(١) الفلسفة القرآنية للمرحوم عباس محمود العقاد .

(٢) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

أما اليونان فانها أهملت تراثها الفكرى ، وطمرته فى الأقبية وحالت بينه وبين طلاب العلم ورواد النور ، مما كان سـببا فى الانصراف الى الخرافات ، وانتشار الأمية الفكرية . ولم يكن الحال فى آسيا أحسن منه فى أوربا ، وكانت أمريكا فى ذلك الوقت مجهولة ويعيش سكانها عيشة الحيوان ، فجاء العرب ليبددوا ما ران على التفكير البشرى من خمود وركود ، ولتصبح دمشق والكوفة وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة ومكة والمدينة مراكز اشعاع علمى يهرع اليها طلاب المعرفة ، وعشاق الثقافة من كل مكان .

٨ ــ وشواهد التاريخ كثيرة فى مجال تعداد ما قام به العرب فى ميادين البحث العلمى والأدبى ، وسأحاول هنا الاشارة الى بعض الأمثلة ، لأن محاولة الاستقصاء تحتاج الى مجلدات ضخام وقد يكون فى المثل الواحد خير دليل على ما أرمى اليه .

من المعروف أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تتميز بفصاحة اللسان وحكمة البيان وبلاغة الشعر ، وكانت اسواقهم الأدبية ندوات ثقافية رفيعة ، وكانت شهرة الشاعر ونبوغه فى القبيلة حدثا هاما تفرح له ، وتتمادح به ، فلما جاء الاسلام بلغة الأدب وجاء القرآن الكريم فى أعلا درجـات البيان ، كان هذا استمرارا لشيوع الفصاحة والأدب بين العرب ، ومع أن الفتوحات قد أدت الى تسرب العجمة وضعف السليقة اللغوية الا أن هذا لم يحل دون استمرار تفوق العرب فى البيان وقرض الشعر ، والتاريخ الأدبى للأمة العربية حافل بكتاب وشـعراء ذوى حكمة وبيان وعبقرية فذة فى التفنن فى القول والابداع فى التصور والتخيل ، ويكفى أن نذكر شعراء المعلقات فى العصر الجـاهلى وابن المقفع والجاحظ والبحترى وابن الرومى وأبا حيان التوحيدى وأبا العـلاء المعرى الشاعر الفيلسوف فى عصر ما بعد الاسلام .

الدراسات القانونية :

٩ ــ وفى الدراسات الفقهية والقانونية نجد أن الفقهاء قد أتوا بنظريات رائعة دقيقة فى التعامل والتقاضى ، وفى السلم والحرب ، وفى العـلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وهذه النظريات مستمدة من روح الشريعة الغراء ونصوصها ، ولكن فضلهم جاء من دقة الفهم ورحابة الافق وانسانية التقنين ، والقـانون الوضعى لم يهتد الى بعض ما جاء به الفقه الاسلامى الا فى العصر الحـديث وبتأثير من الفقه الاسلامى ، وبخاصـة الفقه المـالكى ، فقد كان منتشرا فى الاندلس ، وعن طريقها انتقل الى فرنسا ، واقتبست منـه نظريات شتى فى مختلف الشئون القانونية (٣) . ومن الجدير بالذكر أن الامام الشيبانى ــ وهو تلميذ أبى حنيفة مؤسس المذهب الحنفى ــ يعد بما تركه من مؤلفات فى الحروب والعلاقات الدولية ، مؤسسا للقانون الدولى العام ، وقد توفى هذا الامام فى أواخر القرن الثانى الهجرى .

وهناك علم دفعت الحاجة الى فقه الشريعة وضبط أصول دراستها الى وضعه ، وهو علم أصول الفقه ، هذا العلم يمتاز بأنه بين منهج البحث العلمى

(٣) التشريع الاسلامى وأثره فى الفقه الغربى للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى .

السليم ، وسبق به علماء الاصول من المسلمين كل من جاء بعدهم من المفكرين الذين كرسوا حياتهم لوضع المناهج الفكرية وأسسها العامة (٤) .

العلوم الاجتماعيـــة :

١٠ — وفى ميدان العلوم الاجتماعية يذكر ابن خلدون على أنه مؤسس علم الاجتماع بلا نزاع ، ومقدمته الشهيرة دليل واضح على ما كان يتمتع به هـــذا المفكر من المعية واحاطة وافية بشئون الحياة والاحياء (٥) .

وغير ابن خلدون هناك مفكرون كثيرون أسهموا فى الدراسات الاجتماعية بنصيب ملحوظ ، كالامام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين ، وابن المقفع فى كليلة ودمنة والادب الصغير ، والادب الكبير ، وأبى حيان فى كتابه الهوامل والشوامل ، والبصائر والذخائر وغيرهم .

وغنى عن البيان أن الفروض الدينية من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وتعاطف فى السراء والضراء ، وتكافل فى الشدة والرخاء ، أسس اجتماعية لا نظير لها ، ولهذا يصح القول بأن المجتمع العربى كان يعيش — وما يزال — عمليا وفكريا فلسفة اجتماعية انسانية سامية المبادىء والغايات .

الفلســـفة :

١١ — أما فى الفلسفة فقد كان للعرب دور خالد ، وأثر بارز ، فالاسلام يحض على التفكير والنظر ، ويدعو الى طلب العلم والرحلة فى أخذه مهما تناءت الديار ، وهذا ما دفع العرب الى ترجمة ما لدى الامم الاخرى ، وبخاصة اليونان من فلسفة وفنون مختلفة ، وقد شجع بعض الحكام المترجمين وأغدقوا عليهم الأموال ، وهيأوا لهم كل الوسائل الممكنة لكى يقوموا بأداء رسالتهم على أكمل وجه ، ولكن مع هذا لم يلتزم كثير من المترجمين حدود الأمانة العلمية ، فكان يضيف ما ليس فى الأصل ، أو يهمل ما يجب أن ينقل بعناية وحرص ، وقد أدى هذا الى التناقض بين الآراء .

فالفلسفة اليونانية نقلت نقلا مشوها ، وقد قام الفلاسفة العرب بمحاولة التوفيق بين الآراء والنظريات المتعارضة ، ولم يكتفوا بهذا ، بل وضعوا لهـــا الشروح والتعليقات ، ومهدوا سبيل دراستها وفهمها ، كما أنهم نقدوا هـــذه الفلسفة نقدا علميا ، قائما على الفهم والتحقيق والمقارنة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الفلاسفة العرب لهم فلسفتهم الفريدة فى طابعها ومثلها ، وقد أتوا بنظريات جديدة فى الكون والنفس والعقل ، تختلف عن نظريات أرســـطو وأفلاطون ، وتؤكد أن للعرب فلســـفة أصيلة شـــكلا وموضوعا(٦) .

---

(٤) محاضرات فى الفلسفة الاسلامية للدكتور على سامى النشار .

(٥) ابن خلدون للدكتور على عبد الواحد وافى .

(٦) فى النفس والعقل للدكتور محمود قاسم .

وأن أسماء الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد أسماء عالية فى دنيا الفكر وعالم الفلسفة قديما وحديثا ، وما ذلك الا ليدها الطولى فى وقاية التراث الفلسفى اليونانى من الضياع ولمـــا تركته من ثروة ثرة بالفكر الفلسفى العميق .

البحث العملى :

١٢ ــ واذا تركنا ميدان البحث النظرى الى ميدان البحث العلمى العملى نجد أن العرب كانوا أصحاب دراسة علمية دقيقة قائمة على الاستقراء والملاحظة العلمية السديدة ، وهم وان ورثوا شيئا عن الصين والهند فى بعض العلوم ، الا أنهم تمكنوا ــ بجدهم ومثابرتهم وصبرهم على متاعب البحث ــ من أن يكونوا مبتكرين ومبدعين .

فهذا ابن الهيثم العالم الكيمائى المشهور ، أول من شرح العين ، وله مسائل فيها عرفت فى أوربا بمسائل ابن الهيثم ، كما أن له نظريات بصرية تعد الاولى من نوعها فى تاريخ البحث العلمى . وابن سينا الطبيب الفيلسوف الذى نال كتابه « القانون » فى الطب درجة ممتازة ، وكان الكتاب الوحيد الذى يعول عليه فى دراسة الطب فى جامعات أوربا الى أواسط القرن السابع عشر ، وكذلك الرازى الذى ألف كتبا كثيرة فى الطب أشهرها كتاب « الحاوى » الذى يمتاز « بالملاحظات السريرية » ويقصد بها دراسة سير المرض وتطور حالة المريض .

ولجابر بن حيان وخلفائه شهرة فائقة فى علم الكيمياء ، ومؤلفاته على درجة كبيرة من الجدة والعمق والابتكار .

أما البيرونى العالم الرياضى المشهور ، فقد اشتغل باستخراج الثقـــل النوعى ، بأن كان يزن الجسم فى الهواء أولا ، ثم يزن الجسم نفسه فى المـــاء ، بعد أن يدخله فى وعاء مخروطى الشكل مثقوب على علو معين وبعدئذ يزن الماء الذى أزاحه الجسم ، ومنه يعرف حجم الجسم .

وتدل الارقام التى توصل اليها البيرونى فى الثقل النوعى بعـــد مقارنتها بالأرقام الحديثة على الدقة والاتقان اللذين امتاز بهما ، بالاضـــافة الى تيسر وسائل العلم فى هذه الايام عنها ــ بدرجة كبيرة ــ فى أيام البيرونى الذى توفى نحو سنة ٤٤٠ هـ ــ ١٠٤٨ م .

وهذه قائمة ببعض المعادن التى درسها البيرونى واستخرج ثقلها النوعى مع ذكر الارقام الحديثة .

المـــادة	أرقـــام البيرونى	الأرقام الحديثة
الذهب	١٩ر٢٦ــ١٩ر٠٥	١٩ر٢٦
الزئبـــــق	١٣ر٧٤ــ١٣ر٥٩	١٣ر٥٦
النحـــاس	٨ر٩٢ ــ٨ر٨٣	٨ر٨٥
النحاس الاصفر	٨ر٦٧ ــ٨ر٥٨	نحو ٤ ر٨

ويلاحظ أن البيرونى قد استعمل طريقتين لاستخراج الثقل النوعى ، وتؤكد

الفروق البسيطة بين ما قام به البيرونى وما جاء به العلم الحديث على عبقرية فذة وذكاء عجيب (٧) .

وغير البيرونى كثيرون كالخازن وابن سينا وابن طفيل لهم دراسات فى مجال العلوم الطبيعية تشهد لهم بالفضل والابتكار .

١٣ — **وفى علوم البحار والهندسة والجبر والحساب والزراعة والفنون الزخرفية وهندسة المعمار** ، نجد للعرب مآثر خالدة وأياد لا تجحد ، ويكفى أن « فسكودى جاما » لم ينجح فى رحلته البحرية المشهورة الا على أيدى العرب ، وبواسطة علمائهم الذين درسوا البحار وعرفوا كيف يقودون السفن فى البحر اللجى ، ويخوضون غمرات الموت فى بسالة ومهارة .

أما الهندسة والجبر والحساب فان العرب أول من عرفوا الصفر وقيمته ، ولهم نظريات هندسية لم يسبقوا بها ، ويعد علم الجبر علما عربيا فى نشـأته وقوانينه وليس أدل على ذلك من أن اسمه حتى الآن فى اللغات الاجنبية ما زال عربيا .

وفى العلوم الزراعية درسوا التربة والبذور وأنواعها وما يمكن أن يأتى بثمرات طيبة فى تربة دون أخرى .

أما هندسة المعمار وفن البناء فان الآثار الاسلامية تنطق بروعة ما وصل اليه الفن الزخرفى والمعمارى لدى العرب .. والمساجد التى ما زالت شـامخة بمآذنها فى العواصم الاسلامية ، والآثار الاندلسية التى تحدت المحن والاحن ، وظلت فى أسبانيا حتى اليوم ، هى أوضح دليل على تلك النهضة المعمارية التى كانت فى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

ومتاحف أوربا والمتاحف العربية زاخرة بألوان شتى من هذا الفن الهندسى الخلاب .

١٤ — **وفى الجغرافيـا ، وعلم الفلك ، والموسيقى** كان العرب روادا ، عرفوا أنواع الرياح ، وأثبتوا كروية الارض ودورانها ، ويعد الادريسى أول من رسم خريطة للعالم . أما علم الفلك فقد بلغوا فيه أعلى درجة علمية فى القرون الوسطى ، وأسسوا المراصد فى القاهرة وبغـداد ، ولم تزل أسماء عدد من النجوم باللغات الاجنبية عربية الاصل تشيد بفضلهم وتنوه بجهدهم .

والموسيقى مع أنها فن قديم ، فان العرب هم الذين جعلوه علما له قواعد رياضية ، وأوجدوا السلم الموسيقى ، وقياس الوتر . ولقد ألف الـكندى فى الايقاع الموسيقى قبل أن تعرف أوربا الايقاع بعدة قرون .

١٥ — هذا المجد العلمى الذى كان يخفق بألويته فى أنحاء الوطن العربى بدات تباشيره مع ظهور الاسلام ، واشتد ساعده بعد ذلك وكان هو المجد الوحيد فى العالم أجمع فى القرون الوسطى ، وما بعدها الى بداية عصر النهضة .

لقد كانت نهضة رائعة وحضارة خصبة تمتاز عن غيرها من الحضارات بهذه الاصول الخمسة : احترام الانسان ، والتمسك بالمثل العليا ، وحرية الفكر والعقيدة ، واتباع العقل وتمجيده ، والايمان بالتقدم ، ويتفرع عن هذه الاصول

---

(٧) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

الخمسة كل ما يمكن أن توصف به الحضارة العربية من مظاهر خارجية ، وبغير تلك الاصول لم يكن يتسنى للحضارة العربية أن تبلغ ما وصلت اليه من تقدم ورقى فى جميع نواحى الحياة .

١٦ — وليس هذا القول نوعا من الادعاء والتعصب القومى ، فان التاريخ الاجنبى — قبل التاريخ العربى — والحق ما شهدت به الاعداء — يثبت هذه الحقيقة .

تقول دائرة المعارف البريطانية د ١٧ ص ٤١٠ عن أوربا : « لا يستطيع أحد أن ينكر ما اتصف به التفكير فى العصور الوسطى من البعد التام عن العلم والنقد . ان وجود شخص واحد مثل روجر بايكون فى عصر ما ، لا يبرىء ذلك العصر من تهمة الجهل .

ان هذا القول واضح وصريح لا يحتاج الى تعليق ، أما روجر بايكون المشار اليه فى هذا النص ، فهو عالم انجليزى توفى عام ١٢٩٤ م واشتهر باهتمامه بالعلم التجريبى ، ولقد كان يتعجب من الرجل الذى يريد أن يبحث فى الفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية (٨) .

اضطهاد الفكر فى الغرب :

ويؤكد ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية من سطحية التفكير وسيطرة الخرافات والاباطيل أن التفكير العلمى كان جريمة فى أوربا يعاقب صاحبها بالموت ، ولما تجرأ غاليليو الايطالى المتوفى عام ١٦٤٢ م أن يقول : ان الارض تدور ، جروه الى محكمة التفتيش وهددوه بالقتل اذا لم يكذب نفسه ، وهكذا أجبر غاليليو المسكين على تكذيب نفسه وأعلن أمام أعضاء محكمة التفتيش أن الارض لا تدور ، وبعد أن غادر المحكمة وهو لا يزال يحمل رأسه بين كتفيه ، ثارت الحمية العلمية فى نفسه من جديد فضرب الارض برجله وقال : « ومع ذلك فأنت تدورين » ، ولكن هذه الجرأة لم تتجاوز لفظ هذه العبارة واعتزل بعد ذلك فى بيته الى أن مات .

وكان ليون فوكول المتوفى سنة ١٨٦٨ هو أول عالم أوربى أتى بالبرهان القاطع على حركة الارض الدورية ، أى منذ نحو مائة سنة فقط . ومما يدل على سيطرة الاباطيل والاوهام أن الاوربيين كانوا يعتقدون أن فى المصروع أو المحموم الذى به بثرة خبيثة شيطانا ، فيتناولونه بالضرب واللكم حتى يخرجوا الشيطان من جسمه ، فاذا لم يشف هذا المسكين من دائه ، اعتقدوا أن شيطانه الذى يلبسه قوى مريد ، فأحرقوا الاثنين معا — المريض والشيطان — بنار واحدة واطمأنوا الى أنهم أرضوا الله بذلك .

١٧ — لهذا يحق القول — دون ادعاء كاذب ، أو تعصب أحمق — بأن العرب قد رفعوا ألوية العلم والحضارة ، شيدوا المدن الضخمة ، وأقاموا المدارس والمستشفيات ، وجابوا البحار لخير الانسانية ولم يعرفوا القرصنة التى كانت حرفة لبعض البلاد الاوربية ، وكانوا محط الانظار ، وقبلة طلاب الثقافة والعلم ، وكان تعلم اللغة العربية أمرا ضروريا لكل راغب فى الدراسة العلمية المثمرة ، كما أشار الى ذلك بايكون العالم الانجليزى ، وحدثنا التاريخ أن شباب

---

(٨) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

أوربا كان يهرب من تعاليم الكنيسة ، ويفر الى مراكز الثقافة الاسلامية وبخاصة فى الاندلس وصقلية وجزر البحر الابيض المتوسط ، ليأخذ عن العرب ثقافتهم وعلومهم ، وقد دعا هذا الى ثورة الرهبان ضد هذا الشباب ، ولكن ثورتهم لم توقف التيار لأنه كان أقوى من كل قوة مناوئة .

كيف نهضت أوربا ؟

١٨ — والآن يصح أن نتساءل بعد ما تقدم : كيف نهضت أوربا ولماذا كانت أسبق من غيرها ؟

لقد كان احتكاكها بالعرب عن طريق السفارات والجوار فى الاندلس وجزر البحر الابيض وأيضا عن طريق الحروب الصليبية ، ثم ما كان من شعورها بالنقص واقبالها بحكم هذه العوامل على نقل علوم العرب وفلسفة اليونان التى هذبها العرب ، وحموها من عوادى الزمن — لقد كان كل هذا سببا فى تنبيه الاذهان الى وجوب التمرد ضد التخلف ، فكانت الثورات ضد محاكم التفتيش وعهود الارهاب ، وكانت حركات الاصلاح الدينى التى قضت على كثير من القيم الفاسدة ، والمعتقدات الباطلة ، وخلصت العقل من اسار الجهالة والضلالة ، ودفعته دفعا قويا الى الانطلاق فى مجالات البحث الحر والتفكير المستقل .

لقد وجه العرب أوربا وجهة صالحة ، ونفخوا فيها روح البحث والابتكار وألهموها سبيل الحضارة والقوة ، وعن أوربا أخذت أمريكا ، ثم تطور هذا البناء الحضارى — الذى أقام أسسه العرب — مع الزمن ، وأصبح اليوم شاهقا يكاد يناطح القمر .

فليس من الاسراف فى القول أن الحضارة التى يعيشها العالم اليوم وضع قواعدها العرب ، وكانوا القوة المحركة الفعالة نحو مستقبل مشرق للانسانية جمعاء .

يقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد : يمكن القول أنه من القرن السادس الميلادى الى القرن العشرين لم ينشأ فى العالم أثر جديد لا يرجع الى الحضارة الاسلامية بسبب قريب أو من بعيد ، فالحضارة الاوربية فى القرن العشرين ترجع الى عصر النهضة ، وعصر النهضة يرجع الى ثقافة المسلمين فى الاندلس ، والى الثقافة التى عاد بها الصليبيون من الديار الاسلامية ، فالثقافة الاسلامية وجهت الفكر العالمى وجهة صالحة ، كان لها أعظم النتائج فى تاريخ العالم قديمه وحديثه واحدى هذه النتائج التى لا شك فيها كشف القارة الأمريكية(١))) .

١٩ — ومع هذا ذهب بعض المتحاملين من الاوربيين الى انكار فضل العرب على الحضارة والانسانية ، وادعوا بأن حضارة العرب عالة على الحضارات الاغريقية والرومانية ، وانهم ان كانوا قد حققوا شيئا من التقدم فى مضمار العلوم ، فان ذلك مرده الى التراث الاغريقى الذى ترجم فى عهد المأمون ، وهذا رأى تعوزه الدقة العلمية والدراسة التاريخية الاصيلة البعيدة عن التعصب والاهواء ، لأن الحضارات جميعا تأخذ وتعطى وتفيد وتستفيد ، والحضارة

---

(١) مطالعات ، وأثر العرب فى الحضارة الاوربية للمرحوم عباس محمود العقاد .

الاسلامية على هذه السنة الشاملة قد أخذت كثيرا وأعطت كثيرا ، ولكنها اذا وضعت فى الميزان كان لها أكثر مما عليها ، وكانت لمؤلفاتها آثارها الكبرى فى ابانها وآثارها الباقية فى العصر الحديث(١) .

٢٠ ــ واذا كان هذا موقف بعض المتحاملين فان كثيرا من المنصفين يؤكدون أن العرب قد حموا الحضارة الانسانية من الضياع ، وأخذوا بيد أوربا ــ التى قادت التطور الحضارى بعد ذلك ــ الى الامام .

قال روجر بايكون : ان وجود الفكر الاوربى والعلم الاوربى كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية ، لقد دعيت أوربا فجأة الى الحياة ، بعد أن ظلت غارقة فى ظلمات الجهل طوال خمسة قرون ، وهى مدينة بكل مقوماتهــا الى العالم الاسلامى(٢) .

ويقول وزير المعارف الفرنسية دورى المتوفى سنة ١٨٩٤ م : بينمــا أهل أوربا تائهون فى بيداء الجهالة ، لا يرون الضوء الا من سم الخياط ، اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم وآداب وفلسفة وصناعات ، وأعمال يد ، وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشر فى الامم واغتنم منها أهل أوربا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنونا علمية وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع الاسلام(٣) .

واجبنا اليوم :

٢١ ــ وبعد فان العرب الذين جنبوا البشرية طريق التخلف ، وأناروا لها سبيل القوة والحضارة قد ضعفوا بعد ذلك ــ لأسباب كثيرة ، لا مجــال هنا لشرحها ، ولكنهم اليوم يسيرون فى طريق الحضارة والتقدم ، ويملكون أن يجنبوا البشرية طريق الهاوية والدمار الشــامل ، فالحضارة الحديثة قد طغت فيهــا المادية والانانية والطبقية الذميمة ، والتفرقة العنصرية البغيضة ، ففى أمريكا ــ زعيمة العالم الحر كما يقولون ــ يقوم صراع مؤلم بين البيض والسود ، وفى أفريقيا تئن مستعمرات من وطأة الرجل الابيض وجشعه واستغلاله .

ان الحضارة الحديثة تعيش برئة واحدة ، أو بشطر واحد من شطرى الحضارة السليمة . انها تعيش على المادة ، ولا تعير الروح اهتماما ، لذلك نجد التسابق الرهيب نحو التسلح ، ونجد الخوف من حرب مهلكة يسيطر على الجميع ولا منجاة للبشرية الا اذا تخلت عن غلواء المادية ورجعت الى الاسس التى قامت عليها الحضارة الاسلامية .

ان الحضارة المادية وسيلة لا غاية ، فاذا انقلبت غاية أضحت نقمة لا نعمة ، ولا بد أن تقود الى الدمار .

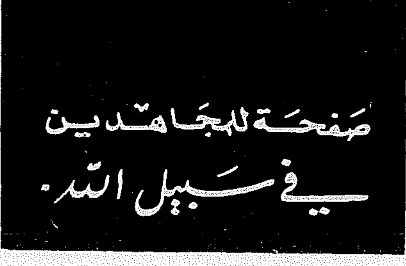
والعرب بحضارتهم الانسانية التى ترعى حظ الروح والجســد ، وتؤمن بالدنيا والآخرة عليهم أن يستعيدوا مركزهم الحضارى ويأخذوا بيــد العالم الى سواء السبيل ، كما أخذوا بيده فى الماضى الى طريق النور والعرفان ، وهم باذن الله فاعلون وفى الطريق سائرون .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لاوربا لعبد الله الجرارى المغربى .



توجيهات عمر للقائد والجنود

كتب عمر بن الخطاب الى القائد سعد بن أبى وقاص يقول :

((بسم الله الرحمن الرحيم — أما بعد — فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من ذنوبكم منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قـوة لأن عددنا ليس كعددهم ، وعدتنا ليسـت كعدتهم .

فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظـة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى اللـه وأنتم فى سبيل الله .

ولا تقولوا : ان عدونا شر منا فلن يسـلط علينا :

فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم ! كما سلط على بنى اسرائيل — لما عملـوا بمعاصى اللـه — كفـار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا .

وسلوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عـدوكم ، وأسأل الله ذلـك لنا ولكم .

وترفق بالمسلمين فى سيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عـدوهم — والسفر لم ينقص من قوتهم — فانهم سائـرون الى عـدو مقيم ، حامـى الأنفس والكراع .

وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون بها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم .

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والـذمة ، فلا يدخلها من أصحابـك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد مـن أهلها شيئا .

فان لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بهـا كمـا ابتلـوا بالصبر عليهـا .

فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تنتصروا على أهـل الحرب بظلم أهل الصلح .

واذا وطئت أرض العـدو فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليكم أمرهم .

وليكن عندك من العرب — أو من أهل الأرض — من تطمئن الى نصحه وصدقـه .

فان الكـذوب لا ينفعك خبره ، وأن صدقك فى بعض .

والغاش عين عليك وليس عين لـك ..)) .

الفقيه اللغوي العلامة

الفاضل بن عاشور

للأستاذ أنور الجندي

في يوم ١٢ صفر ١٣٩٠ (٢٠ ابريل ١٩٧٠) ودع الحياة عالم من كبار علماء المسلمين هو المرحوم الاستاذ الفاضل بن عاشور فقيه تونس وعميد كلية الزيتونة وعضو المجامع اللغوية في القاهرة ودمشق مات عن واحد وستين عاما أعظم ما يكون تألق فكر وحيوية عقل وصحة بدن ، وقد عرف في السنوات الأخيرة رحلاته في سبيل الثقافة العربية والفكر الاسلامي الى عديد من الاقطار ، واشتهرت عنه محاضراته الناصعة وأحاديثه الذكية باللغة الفرنسية متحدثا عن الاسلام عارضا الفوارق والروابط بين الفقه الاسلامي والشرائع الغربية كاشفا عن عظمة الاسلام ، وتلك كانت أبرز خصائصه التي عرفتها ، وقد استمعت اليه المرة بعد المرة حين يتحدث في هذا المجال فيبرز الفقهاء ورجال القانون جميعا ، ويقدم للعقل الانساني تلك الحقائق سائغة مبسطة ، وتلك كانت هوايته المحببة ، فقد حاضر في السربون في فرنسا ، وحاضر في جامعات استانبول ، وجامعة عليكرة في الهند ، وخلب الألباب بقدرة أستاذ معمم يلبس ذلك الزي الاسلامي المغربي المعروف وهو يعتلي المنابر ويهز النفوس ، هذا من فرط براعته وبلاغته وايمانه بدينه وأمته .

وقد كشف لي في حديث خاص أجريته معه في العام الماضي ليكون نواة لدراسة عنه (١) كواحد من جيل الرواد في الفكر الاسلامي الحديث عن مصدر هذه الخاصية ، وقال انه والده العلامة الكبير الطاهر بن

---

(١) ولد عام ١٣٢٧هـ — ١٩٠٩م في مدينة تونس .

عاشور إمـام المالكية فـى تونس وعلامتها منذ أوائل القرن ، والرجل الذى التقى بالاستاذ الامام محمد عبده فى زيارته الاخيرة لتونس عام ١٩٠٤ قبل وفاته بعـام ، وقطب الدراسة السلفية التى كانت مجلة المنـار التى أصدرهـا الشيخ رشيد منـارا لها وللمغرب كله ، قال ان والده أطال الله بقاءه ، وهو ما يزال حيا ولـه مؤلفات عديدة يتجدد صدورها فى هذه الأيام هو الذى أرشده الى هذا الطريق ، ودفعـه الـى أن يتزود بالثقافتين الاسـلامية العـربية والفرنسية الغربية .

يقول بدأت الدراسة فـى مطالع الصبا فى البيت ، فحفظت القرآن والمتون القديمة ، ثم دخلت الزيتونة وهنالك درسـت الـى أن تخرجت بالشـهادة الثانـوية المسـماة (التطويع) عام ١٩٢٨ م — ١٣٤٧ هـ ثم واصلت الـدراسة العليا فـى الزيتونة (الشريعـة وأصول الدين واللغـة) وعلى الشيخ محمد بن يوسف درسـت التفسـير وصحيح البخارى ، وعلـى الـوالد درسنا التفسير والموطأ والمطول للتفتازانى وديوان الحماسة .

وعلى الشيخ أبو الحسن النجـار درسـنا علم الكـلام (المقاصد للتفتازانى) وعلى الشيخ محمد بن القاضى درسنا أصول الفقه (شرح المحلى على جمع الجوامع) .

وكان والدى قد خطط لـى نظاما يتضمن تعليم اللغة الفرنسية بأساتذة خاصين ، ولم أنتسب الى مـدرسة أو الى معهد فرنسى .

ثم انتسبت الى كلية الآداب فى جامعة الجزائر لاستكمال دراستى فى اللغة الفرنسية ، وكانت الطـريقة المتبعـة بعد الدراسة العليا أن يتقدم الطلبة لمباريات ومناظرات للـدخول فى سلك الاستاذية وهى مراتب ، والانتقال من كل رتبة الى ما فوقها انمـا يتـم بمناظرة ، وقد اجتزت المناظرات على التعاقب حتى أحرزت الدرجة الاولى عام ١٩٣٥ وقد عملت مـدرسا فى جامعـة الزيتونة وفى المدرسة الصـادقية منذ عام ١٩٣٢ وأنا مستمر فى التـدريس وظللت أواصل التدريس حتى وليت عمـارة الكلية الزيتونية للشـريعة وأصول الدين عام ١٩٦١(٢) .

★ ★ ★

ويمكن القول أن علامتنا قد واصل الاشـتراك فـى مجـال الثقافة الاسـلامية والعـربية منـذ العقد الثالث ، وتوالت أبحاثه فى المجالات التونسية ورحلاتـه فـى الاقطـار العربية والاسلامية ، وكانت مفاهيمه الاسلامية والعربية واضحة عميقـة الدلالة على غيرته وايمانه واخلاصه .

فقد كان حريصا علـى أن يحمل لـواء الدعوة الى الاسلام والعربية فى كل مكان ، وأن يكون مدافعا عن الفكر الاسلامى والتاريخ واللغة فى وجـه خصومهـا شاجبا لأهوائهم داحضا لشبهاتهم وقد أتاه الله القدرة من ناحيتين مـن ناحية الأداء العربى البليغ والفرنسى الطليق ، ومن ناحية اطلاعه الواسع على الفكر الاسلامى والفكر الغربى على السواء .

ولقد رددت مثل هذا المعنى على مسمعه عند لقائـى المطول معه فى صباح الجمعة ١٩٦٩/٢/٦م فى فندق

---

(٢) وقد ظل الفقيد محتفظا بهذا المنصب حتى توفى .

شبرد بالقاهرة ، ونحن نستعرض أعماله وتاريخه فقال لى :

« انما هى ثقافة اسلامية واحدة وليست ثقافتين فهى تقوم على عامل التكون الاسلامى الصرف فأنا أنظر الى ما أقرأ بالفرنسية من ناحية المطلب الاسلامى وحده ، وأنا أرى أمامى عقلين مختلفين عقل عربى وعقل أوروبى ، وأنا ما طلبت معرفة من المعارف الفرنسية الا بدافع اسلامى ، فأنا أحس فى قرارة نفسى أن شخصيتى آتية من سعد الدين التفتازانى والسبكى حين تناقش أو تقرأ ما يكتب عن الاسلام باللغة الفرنسية » .

وفهمت من ذلك أنه يريد ألا يقال عنه أنه مثقف ثقافة غربية بمعنى أنه يؤمن بما وراء هذه الثقافة من قيم على النحو الذى يقال حين نذكر بعض الذين تعلموا فى فرنسا أو زاولوا عرض آثار الفكر الغربى عندنا .

وقد كانت حياة العلامة الفاضل ابن عاشور خصبة مليئة بالعمل والدرس والمحاضرة بين منابر المعاهد الاسلامية فى تونس وليبيا والجزائر والمغرب وفى مجمع البحوث الاسلامية ومجمع اللغة العربية وبين الكلية الزيتونية فى تونس وكلية الحقوق بها حتى كانت محاضراته تبلغ خمس عشرة ساعة فى الاسبوع ، وهو فى هذا العمل يرتجل ولا يكتب ، وقد واتته ذاكرته الخصبة ، وأسعفته عقليته الحافظة بالنصوص والمصادر على نحو بارع ، وقد كان يرى ذلك مصدرا من مصادر قصوره فى التأليف وتحرير المحاضرات والدرس على النحو الذى يلجأ اليه الاساتذة بكتابة ما يلقون فى ساحات الدرس ، وانما كان يكتفى بأن يكتب خطوطا عامة لما يتناوله ، ولذلك فقد كانت محاضراته المطبوعة فى مصر عن الحركة الفكرية فى تونس من الاعمال التى تحققت تحت تأثير الضرورة ، وان كان له الى ذلك مؤلفات أخرى منها :

١ ــ أركان النهضة الادبية فى تونس .

٢ ــ أعلام الفكر الاسلامى فى تاريخ المغرب العربى .

٣ ــ وله كتاب التفسير ورجاله ، الى جانب دراسات أخرى لها قيمة التأليف كأبحاثه فى مجمع القاهرة ومجمع دمشق اللغويين ومجمع البحوث الاسلامية .

وكان قد نشر فصولا منثورة فى مجلة الثريا التونسية عن مشاهير التونسيين فى القرن الرابع عشر ، وله أيضا بعض الابحاث فى مجلتى الفكر والمجلة الزيتونية .

كما شارك فى عديد من المؤتمرات الاسلامية والعربية فى مختلف بلاد الاسلام والعالم العربى كمؤتمرات الحقوقيين والمحامين العرب فى دمشق وبغداد ورابطة العالم الاسلامى فى مكة والمجلس التأسيسى فى باكستان وجامعة استانبول فى تركيا فضلا عن زياراته لاوروبا بدولها المختلفة وخاصة فرنسا وسويسرا وايطاليا ، وذلك الى شغفه بالحج والعمرة فقد أداهما عشر مرات .

كما شارك فى الاحتفال بمهرجان ابن خلدون فى القاهرة ، وحضر ازاحة الستار عن تمثال ابن خلدون المقام فى مدينة الاوقاف بالدقى .

وقد استخلصت من مراجعة آثاره وكتاباته أنه قد أضاف اضافات بناءة فى ميادين ثلاثة هى التشريع الاسلامى واللغة العربية والتاريخ الاسلامى .

وقد سألته فى ذلك فقال : ان هناك رابطة عضوية بين التشريع الاسلامى واللغة، فاللغة العربيةأداة ضرورية لفهم التشريع الاسلامى ، وتعمق روح الاسلام يكاد يكون ضرورة ماسة لتذوق اللغة العربية وآدابها .

ونحن نحتاج للنظر فى تاريخ الاسلام لاستجلاء ماضينا ، وحتى نتصور ما علينا من واجبات نحو الماضى وما تربطنا به من مقومات لا نستطيع أن نخرج عنها وخروجنا عنها معناه أننا نخرج عن أنفسنا . فضلا عن حاجتنا الماسة الى التعرف على رواد نهضتنا العربية الاسلامية الأولين حتى نكون على بصيرة من الغاية التى نحن سائرون اليها الآن ، لاننا فى الحقيقة لسنا الا مواصلين السير على خطط النهضة التى خططها هؤلاء الرواد ، ولكن الطريق قد ينبهم أمامنا أحيانا ، فيكون من الضرورى لنا أن نتعرف دائما طريقنا الصحيح ، وروابطنا بقادتنا الأولين والمبادىء التى قامت عليها النهضة أصلا .

ويؤمن العلامة الفاضل بن عاشور أن العالم العربى يضم شرقين يطلق على المشرق منه وطن (الارتكاز) ويطلق على المغرب منه (وطن الامتداد) .

ويرى أن الخط الجامع بين النقطتين هو النيل ، فمن الضفة الشرقية للنيل يبدأ المشرق ، ومن الضفة الغربية يبدأ المغرب ، وقد سألته عن ذلك التمييز الواضح لدراسات المقاربة فى اللغة والفلسفة والفقه ، وذلك الطابع الذى يطبعها فقال :

يختلف المغرب عن المشرق من حيث ائتلاف العناصر ، ومن حيث أن أول عهده بالعروبة يبدأ منذ أول عهده بالاسلام ، بخلاف ما فى المشرق حيث له روابطه بالعروبة منذ أمد بعيد قبل الاسلام ويختلف أيضا من حيث متاخمة المغرب للعالم الغربى الاوروبى ، ومن حيث متاخمة المشرق للعالم الايرانى والهندى ، من هنا تكونت فى المغرب عناصر طبعت الفكر وطبعت الادب ، وجعلته مع ما يتلاقى فيه من العنصر العربى الذى هو وطن (الارتكاز) يمتاز بظواهر خاصة هى نتيجة تلك الخاصيات التى اتصلت بتكوين الفكر والشعور ولم تتصل بالعالم الشرقى .

كما أشار الى ظاهرة تطلع المغرب الى المشرق على امتداد التاريخ ، وكيف أن الرحلات الاسلامية كلها قد بدأت من المغرب الى المشرق وليس العكس ، فقال : ان المغاربة كانوا يتطلعون دائما الى الشرق حيث بيت الله الحرام فى مكة وحيث قبلة المسلمين وملتقى وحدتهم الروحية والفكرية .

وبعد فان آثار العلامة الفاضل بن عاشور كثيرة وجديرة بالمراجعة والعرض لما تحويه من مفاهيم وآراء هى خلاصة تجربة عالم عريق أتاحت له دراسته وثقافته واتصالاته بعوالم المشرق والمغرب حصيلة ضخمة من العلم والثقافة .

هذا بالاضافة الى شخصيته الجذابة وروحه المرحة وخلقه الرفيع وذكائه الحى وبالجملة فهو أحد رواد الفكر الاسلامى العربى المعاصر ، الذين تركوا تراثا ضخما على طريق حركة اليقظة التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

« رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته » .



تحرره : إدارة الموسوعة

أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى المقال السابق لدراسات القانون المقارن فى مختلف جامعات العالم ، ومعاهده المتخصصة ، والمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات والأهمية التى تحتلها الشريعة الاسلامية فى هذا المجال .

ونتناول بالبحث الآن مجالا آخر من مجالات القانون المقارن ، وهو نشاط الجمعيات والمراكز العلمية غير التدريسية ، وما يصدر عنها من مجلات وبحوث فى القانون المقارن .

أ) وقد بدأ الاهتمام بهذا اللون من النشاط مبكرا ، فقد انشأت **عصبة الأمم** سنة ١٩٢٦ فى روما **المعهد الدولى لتوحيد القانون الخاص** وهو تابع الآن لاتحاد خاص انضمت اليه ثلاثون دولة . ويعنى هذا المعهد بدراسة أهم النظم القانونية فى مختلف البلاد ، تمهيدا للتوحيد . وقد أعد المعهد مشروعات لقوانين موحدة فى عدة موضوعات ويصدر المعهد **مجلة فصلية عن أحكام القضاء** فى المسائل التى تم فيها توحيد التشريع بين عدد من الدول .

ب) **أما فى ظل هيئة الأمم المتحدة** ، فتهتم بذلك كثير من الهيآت الدولية المتخصصة بالدراسات القانونية المقارنة . ونخص منها بالذكر منظمة العمل الدولية ، ومؤسسة اليونسكو . وقد تأسست سنة ١٩٤٩ ، تحت اشراف اليونسكو ، « **اللجنة الدولية للقانون المقارن** » بقصد انماء التعارف والتفاهم المتبادل بين الامم ، وتشجيع انتشار هذه الثقافة عن طريق نشر دراسة القوانين الاجنبية فى العالم ، واستعمال الطريقة المقارنة فى العلوم القانونية . ولهذه اللجنة شعب وطنية فى البلاد المنضمة الى منظمة اليونسكو .

وقد تابعت هذه اللجنة نشر المؤلفات والبحوث والمراجع اللازمة لتحقيق أغراضها . وتقوم اللجنة منذ عام ١٩٦٤ بعمل ضخم هو اعداد موسوعة دولية للقانون المقارن .

ج) كما تأسس سنة ١٩٢٤ **المجمع الدولى (الاكاديمية الدولية) للقانون المقارن** ومقرها قصر السلام **بلاهاى** وهو يهدف الى دراسة القانون المقارن على أسس تاريخية ، والعمل على التقدم بالتشريع فى البلاد المختلفة ولا سيما ميدان القانون الخاص عن طريق التقريب والتوفيق بين التشريعات المختلفة . وقد قام المجمع بتنظيم مؤتمرات دولية للقانون المقارن سنشير اليها فيما بعد . (منها مؤتمر أسبوع الفقه الاسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس سنة ١٩٥١) .

د) **وفى فرنسا** أنشئت سنة ١٨٦٩ **جمعية التشريع المقارن** وهى ما زالت تواصل نشاطها حتى الآن ، وتصدر مطبوعات دورية أهمها نشرة جمعية التشريع المقارن التى تسمى ابتداء من سنة ١٩٤٧ باسم ((**المجلة الدولية للقانون المقارن**)) . وتنظم الجمعية من وقت لآخر مؤتمرات قانونية يشترك فيها مع الاساتذة الفرنسيين فقهاء من الدول الأخرى . وقد أصبح للجمعية شعب فى كثير من الدول خارج فرنسا ، فى أوروبا وأمريكا .

هـ) وفى ١٩٥١ صدر مرسوم فرنسى بانشاء ((**المركز الفرنسى للقانون المقارن**)) ، ليضم جمعية التشريع المقارن الآنفة الذكر ، ومعهد القانون المقارن بجامعة باريس ، ولجنة التشريع الاجنبى والقانون الدولى التى تمد البرلمان والسلطات القضائية والجهات الادارية بالمطبوعات التى تلزمها فى خصوص التشريعات الاجنبية .

ويهدف المركز الجديد الى تحقيق التنسيق بين برامج البحوث والمطبوعات الخاصة بالقانون المقارن والقوانين الاجنبية ، والتنسيق بين مكتبات القانون المقارن وتنمية مراجع البحث فيه ، وتنظيم المؤتمرات الدولية واستقبال العلماء الاجانب ، وتنمية الروابط معهم ويصدر المركز **مجلة فصلية ((للعلوم الجنائية والقانون الجنائى المقارن))** .

و) **وفى انجلترا** ما زال **المعهد البريطانى للقانون الدولى والمقارن** يواصل نشاطه ويصدر مجلته المعروفة باسم ((**المجلة الفصلية للقانون الدولى والمقارن**)) كما يصدر العديد من الدراسات القانونية المقارنة وخاصة عن دول أفريقيا وآسيا .

ز) كما ان هناك **جمعية القانون الدولى** المؤسسة سنة ١٨٧٣ ولها شعب وطنية فى كثير من الدول ، وقد عقدت عدة مؤتمرات كان للدراسة القانونية المقارنة نصيب كبير من نشاطها .

ح) **وفى ألمانيا** أنشئت سنة ١٩٢٦ **مؤسسة ماكس بلانك** التى تضم بضعا وعشرين معهدا للبحوث منها **معهد ماكس بلانك للقانون العام الاجنبى والقانون الدولى** فى هايدلبرج **ومعهد ماكس بلانك للقانون الخاص الاجنبى والقانون الدولى الخاص** فى هامبورج **ومعهد ماكس بلانك للقانون الجنائى الاجنبى والقانون الجنائى الدولى** فى فريبورج .

ويصدر المعهد العديد من المجلات المتخصصة فى هذه الموضوعات .

ط) **أما الولايات المتحدة الأمريكية** فقد تأخر الاهتمام فيها بالدراسات المقارنة ، حتى خرجت من عزلتها الدولية بعد الحرب العالمية الثانية فبدأ الاهتمام بدراسة القوانين الاجنبية دراسة ذاتية ومقارنة فى كثير من نقابات المحامين والجامعات ، وأنشئت عدة جمعيات خاصة لهذا الغرض ، **كجمعية القانون الاجنبى** ، **والجمعية الأمريكية للدراسة المقارنة للقانون** . وتصدر

كلتاهما النشرات والمراجع والمجلات المتخصصة ، وأهمها ((**المجلة الامريكية للقانون المقارن**)) .

ى) **وفى بلجيكا** تأسس **المعهد البلجيكى للقانون المقارن** الذى يصدر مجلة فصلية باسم ((**مجلة القانون الدولى والقانون المقارن**)) .

وهناك العديد من المنظمات الدولية القانونية التى تهتم اهتماما خاصا بدراسات القانون المقارن ومن هذا القبيل :

ك) **الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين** ، ومركزها الرئيسى بروكسل بلجيكا ، وتصدر مجلة نصف سنوية تسمى : ((**مجلة القانون المعاصر**)) .

ل) **اللجنة الدولية للقانونيين** ، ومركزها الرئيسى فى جنيف (سويسرا) وتصدر مجلة فصلية تسمى ((**فى سبيل سيادة القانون**)) .

م) وأسس الاستاذ رينيه كاسان رئيس المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان **معهدا لحقوق الانسان** ، ينفق عليه من المكافآة التى حصل عليها من جائزة نوبل للسلام ، كما أصدر مجلة فصلية تسمى :((**مجلة حقوق الانسان**)) ومركز المعهد والمجلة فى ستراسبورج فى فرنسا .

ن) كما يضم ((**مركز السلام العالمى عن طريق القانون**)) فى جنيف ونيويورك العديد من اللجان التى تهتم بدراسات القانون المقارن ، وتصدر نشرات متخصصة فى هذه الموضوعات .

س) هذا علاوة عن اهتمام المنظمات المهنية العالمية للمحامين ببعض الدراسات المقارنة وانشائها مجلات ونشرات لها وهذه المنظمات هى ((**نقابة المحامين الدولية**)) ((**والاتحاد الدولى للمحامين**)) ((**والجمعية الدولية للمحامين الشبان**)) .

الخلاصة :

ان هذه المراكز والجمعيات العلمية ومعاهد البحوث وما تصدر من مجلات وبحوث ونشرات ، لهى مجال واسع لعرض الشريعة الاسلامية وأحكامها مقارنة بالقوانين الوضعية . والاجماع منعقد على أهمية الشريعة الاسلامية ، وكونها أحد النظم القانونية الرئيسية فى العالم . وان الرغبة فى معرفة أحكام الشريعة الاسلامية قائمة لدى العاملين بهذه المراكز العلمية ، ولكن العقبة الكؤود أمامهم هى الاسلوب القديم الذى كتب به الفقه وبعثرة أحكامه المتفرقة، بين الكتب دون ترتيب ، فضلا عن صعوبة اللغة ، واختلاف المصطلحات ...

ويوم يتحقق مشروع الموسوعة الفقهية ويترجم الى اللغات العالمية الحية ، سوف تصبح هذه المراكز الدولية مجالا خصبا لعرض الشريعة الاسلامية ، وتوضيح مزاياها ، وبحث نظرياتها فى مختلف الموضوعات .

(للبحث صلة)

ب) من أخبار الموسوعة

أولا ــ حالة الكتابة :

أ) الموضوعات الناجزة والموافقة اجمالا للخطة ولكنها تحتاج الى مراجعة أخيرة واعداد للطبع هى :

حوالة — ذبائح — نكــاح — وضوء — تعزير — اعتكــاف — نسب — صيد — لقيط — قصاص — قسمة — شركــات — **صلاة العيدين** — صـــلاة الجمعة — آنية — اجارة — أضحية — عقيقـــة — جنائز — أمـــوال الحربيين — أوقات الصلاة — مزارعـــة — جعالة — ايـــلاء .

ب) الموضوعات الناجزة والتى نظر فيها مبدئيا وابديت عليهـــا ملاحظـــات واعيدت الى كتابها لاجراء التعديل عليها هى :

اللباس — المرتد — الظهار — اللعان — الاذان والاقامـــة .

ج) الموضوعات الناجزة والتى ما زالت تحت النظر والدراســـة بالادارة لتكليف الكاتب أو غيره بتعديلها هى :

الصلح — الاستسقاء — الارث — المستأمنون — الذميون — القضـــاء — التيمم .

د) الموضوعات التى تم تخطيطها من الاساتذة الكتـــاب وعدلت مخططاتها من قبل الادارة ثم اعيدت لاصحابها وهى الآن تحت الكتابة هى :

الوكالة — الأيمان — الاحتكار — التسعير — الكفالة — الرهن — الغسل — الصوم — المساقاة — المغارسة — الحلى — الشفعة — نفقة الاولاد والاقارب — الطلاق — العدة — صلاة الوتر — صلاة النوافل — التركـــات — الزكاة — دار الاسلام ودار الحرب — دولة الاسلام — المعاهدات .

هـ) الموضوعات التى خططها الاساتذة المكلفون بها وهى الآن فى الادارة تحت النظر لتعديل التخطيط هى :

صدقة الفطر — التمثيل السياسى — اللقطة — الاقرار — الايـــداع — الحدود — الحج والعمرة — صلاة المريض — صـــلاة المسافر — مسئوليـــة الدولـــة — الرضاع .

و) الموضوعات التى كلف بها اساتذة كتـــاب وهى الآن تحت التخطيط من قبلهم لارسال مخططاتها لاعتمادها أو تعديلها هى :

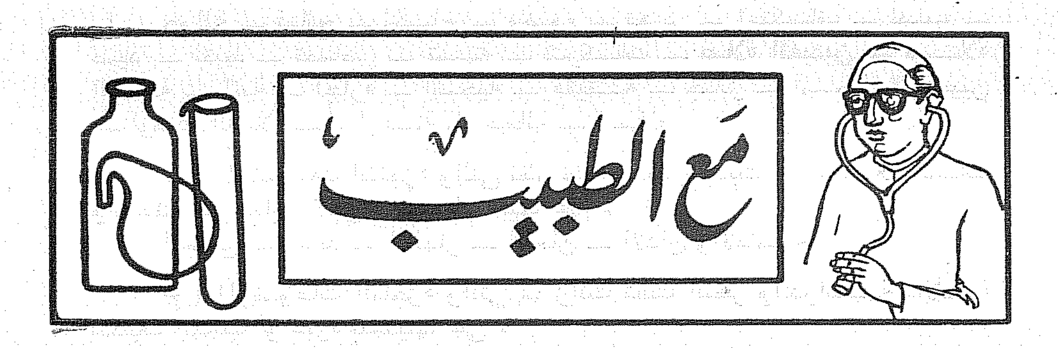
القرائن (من الاثبات) — الشهادات (من الاثبات) — الديات والمعاقل — البغـــاة — الوصية .

ثانيـــا : —

بدأ اعداد قسم التصوير والاجهزة العلمية بشراء بعض اجهزة ضرورية فى هذه المرحلة ، مع استمرار الاستعانة بقسم التصوير بجامعة الكويت بالنسبة لما لم يتيسر بعد للموسوعة من الأجهزة الأخرى .

ثالثـــا : —

زاد جهاز العمل بادارة الموسوعة بندب أمين مكتبة الوزارة مســـاعدا علميا ، وبتعيين مختص فى المكتبات أمينا لمكتبـــة الموسوعة ومسئولا عن تنظيم الاوراق والملفـــات .



أمراض الصيف

للدكتور : محمد ابو شوك

لا يكاد يمضى الربيع بجماله ، وبهجة أزهاره ، وطيب أريجه ، وما يكتنف هذا الجمال من بهجة فى النفس وراحة بال — وتأمل فى ذلك الجمال الذى يضفيه الخالق على الطبيعة — ولكن وسط هذا الجمال البديع يعانى بعض الناس من أمراض خاصة بهذا الفصل من السنة ، منها وأكثرها شيوعا أمراض الحساسية — من رمد ربيعى ، والتهابات الانف والحلق ، وحساسية فى الجلد — والربو وغيرها .

ثم يأتى الصيف بحرارته الشديدة فيهرب الناس من لقائه ، فمنهم من يأوى الى مكان مرتفع تقل فيه درجة الحرارة ، ومنهم من يذهب الى شاطىء بحر لعله يجد ملاذا بين أمواجه وعليل نسماته .

ومع كل هذا فان للصيف أمراضه الخاصة التى تلاحق الانسان سواء مكث فى منطقته الحارة أو اعتصم بجبل — أو أمضى وقته بجوار شاطىء .

ولعل أبرز هذه الامراض ما يصيب الانسان من ارتفاع درجة الحرارة . فهناك الانهاك الحرارى ، وضربة الشمس أو ضربة الحر — ثم الامراض الجلدية التى تنتج من التعرض لحرارة الشمس ، ثم الآلام المفصلية والعضلية ، والحميات المعوية ، والتسمم الغذائى .

ثم يجىء السؤال على كل لسان ، ماذا عن المرضى بالامراض المختلفة فى الصيف ؟

أولا — الامراض التى تنتج من ارتفاع درجة الحرارة :

أ) الانهاك الحرارى :

هو احساس المصاب بهبوط عام فى جسمه ، وعدم القدرة على القيام بأى مجهود عضلى — وحدوث تقلصات فى العضلات خصوصا فى الرجلين ، وتقلصات فى أعلى البطن ، مصحوبة بألم شديد — وكذلك يحس المصاب بدوار وصداع ، وفقدان الشهية للأكل وربما قىء ، وفى الحالات الشديدة اغماء ، وربما انهيار تام وعدم القدرة على الحركة — ويكون الجسم باردا ومغطى بعرق غزير بارد .

والسبب فى ذلك هو التعرض للحر ، وفقدان العرق الغزير ، الذى يحتوى على كمية كبيرة من الملح (كلوريد الصوديوم) وهو السبب فى هبوط الضغط ، والهبوط العام الذى يحس به المصاب — والوقاية هنا هامة — فاذا تعرض الانسان للحر ، وتسبب عن ذلك عرق غزير وجب عليه أن يعوض ما يفقد من ماء وتكون كمية الملح فيه زائدة — أو أن يأخذ أقراص ملح ويكثر الملح فى طعامه .

ب) ضربة الحر — أو ضربة الشمس :

وتحدث هذه من التعرض لحرارة الشمس — أو أى مصدر حرارى ، ثم توقف الجسم فجأة عن افراز العرق — فتتجمع الحرارة داخل الجسم — فترتفع حرارته — ويجف الجلد ، ويشعر المصاب بصداع شديد ودوار — وغثيان وقىء — ثم هذيان — وفى الحالات الشديدة تشنجات ثم غيبوبة . وفى الحالات الشديدة ، يحدث نزيف فى الجلد — من الانف ومن أجزاء مختلفة فى الجسم .

والوقاية هنا هامة أيضا ، فيجب الابتعاد عن مصدر الحرارة — وكذلك نقل المصاب فى أسرع وقت ممكن الى أقرب مستشفى ليعالج ، لأنه كلما مضى وقت على اصابته كلما ازدادت حالته سوءا ، وتعرض لمضاعفات شديدة ربما أودت بحياته ، والى حين نقله الى المستشفى يجب أن لا نفوت الفرصة عليه لتخفيض درجة حرارته وذلك بتخفيف ملابسه ، ووضع ماء بارد على رأسه وأطرافه مع تدليك جسمه بالماء البارد ، حتى تنخفض درجة الحرارة . ولا نضيع وقتا طويلا فى نقله الى أقرب مستشفى لتكملة العلاج ، وذلك بالتبريد تدريجيا ووضعه فى غرفة خاصة مكيفة ، ثم تعويضه السوائل التى فقدها اذا حدث ذلك .

هـ) التعرض للشمس :

لمدة طويلة دون وقاية يعرض الجلد والعينين الى مضاعفات عدة ، يتأثر بها من ليس عنده القدرة على تحمل أشعة الشمس ، وذوى البشرة غير الملونة لأن تلون البشرة يحميها من التأثر بالاشعة فوق البنفسجية ، ويحدث أن يحمر الجلد المعرض للشمس والاحساس بحرقة فيه مع الميل الى حكه .

وفى الحالات الشديدة يتورم الجلد ، وبعد مرور ساعات يغطى بفقاعات صغيرة سرعان ما تكبر ، وتمتلىء بسائل شفاف ، وتكون هذه محاطة بجزء ملتهب أحمر من الجلد — وفى الحالات الشديدة ربما تعرض لالتهاب بميكروب ، مما يسبب تقيحها وما يعترى الجسم من مضاعفات ، مع الارتفاع فى درجة الحرارة والاحساس بالاعياء الشديد . وفى الحالات الاشـــد ، يصحب ذلك صداع وقىء .

والوقاية هنا أيضا خير من العلاج فيجب أن لا يعرض الانسان نفســه للشمس لمدة طويلة ظنا منه أن هذا مفيد للصحة ، ويحرق جلده وعينيه — ويختار الوقت المناسب للتعرض أى فى الصباح الباكر أو بعد الظهيرة ، واذا كان ممن يتأثرون بأشعة الشمس وجب عليه تغطية الاجزاء الحساسة بدهان (بكريم) Uvostat وما شابهه ، ويلاحظ فى ذلك أن لا يغطى الجسم جميعا ، والا منع العرق من التبخر من على الجسم ، والذى هو هام فى تنظيم حرارة الجسم وكم شاهدنا حالات غطى المعرض نفسه للشمس معظم جسمه (بالكريم) ، قد أصيب بضربة شمس نتيجة لذلك ، فعليه أن يغطى الاجزاء الاكثر تعرضا كالوجه والساعدين والكتفين وأعلى الظهر .

أما اذا التهب الجلد فأحسن علاج الآن هو استخدام الغسولات التى تحتوى على مركبات الكورتيزون مثل (Celestoderm) وما شابهها ، أما اذا حدث لها التهاب وتقيح فتستعمل المركبات الحيوية للتغلب على مثل هذه الحالات مع المراهم المضادة لهذه الميكروبات ، وفى الحالات الشديدة يستشار الطبيب فى العلاج .

ثانيا — الامراض التى تصيب العضلات والمفاصل :

ورب سائل يقول : كيف يحدث ذلك فى الصيف والجو حار ؟ ولكن لوحظ أن هذه الامراض تزداد فى الصيف نتيجة للتعرض للتيارات الشديدة من النوافذ أو « المراوح » أو المكيفات — ويسبب ذلك تقلصات شديدة فى العضلات ، وآلام فى المفاصل يشتد فى الصباح الباكر عند الاستيقاظ من النوم ، أو بعد القيلولة ، بعد أن يكون الجسم قد تعرض لهذه التيارات فترة طويلة — بل لا يكاد الانسان أن يتحرك من شدة الالم — ويجدر بنا ملاحظة عدم التعرض لمثل هذه التيارات الباردة ، وتغيير الجو من حار الى بارد ومن بارد الى حار فى فترات وجيزة — وأن نبعد أسرة النوم عن المكيفات .

واذا حدثت مثل هذه الآلام فأقراص الاسبرين أو الباراسيتامول أو ما شابهها ، هى العلاج الناجع فى مثل هذه الحالات — مع تدليك العضلة المصابة بعد تسخينها وعدم تعرضها للبرودة مرة أخرى .

ثالثا — الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى :

ولعل أخفها تلك التلبكات المعوية والمعدية التى تحدث من آن الى آخر ، لمن يذهبون الى أماكن غير التى تعودوا عليها ولعل ذلك يرجع الى تغير فى

أطعمتهم والمياه التى يتناولونها واختلاف الاكلات التى تعودوا عليها . نصيحتى لهؤلاء أن لا يكثروا من الاكل الذى لم يتعودوا عليه ويجعلوا الحديث الشريف نصب أعينهم « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ، وفى بعض الحالات تزداد هذه التلبكات شدة ويحدث قىء شديد واسهال نتيجة للتسمم الغذائى الذى يحدث من تلوث الطعام بميكروبات أو افراز هذه الميكروبات وما أكثرها فى الصيف ، وما أكثر طرق نقلها بالذباب الذى يهيم على الاطعمة ، وأحب أن أشير هنا الى أن التسمم الغذائى انما يرجع الى عدم الاعتناء بالنظافة التى هى من أهم أسباب الوقاية « النظافة من الايمان » كما يرجع الي الاهمال وترك الاطعمة دون حفظها فى أماكن خاصة لكى لا تتلوث وتبقى فى حالة سليمة جيدة ، ويا حبذا لو حفظت الاطعمة فى ثلاجات خاصة واخراجها فقط عند تناولها ، وعدم تناول أى طعام مشكوك فى صلاحيته . واذا حدث التسمم وجب على المصاب أن يتخلص مما تناوله ، بأن يأخذ ماء به نسبة عالية من الملح ويتقيأ .

ولعل أقسى الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى فى الصيف هى اصابته بالحميات المعوية كالتيفود والباراتيفود ، وهى حميات معدية نتيجة لاصـــابة الامعاء بميكروب خاص (باسيلوس) يذهب مع الطعام الى الدم ، ومنه الى الامعاء الدقيقة مسببا تقرحات بها ، ويصحب ذلك ارتفاع فى درجة الحرارة ، والشعور بالاعياء الشديد — وآلام فى المفاصل والعضلات ، وصداع مع الانتفاخ والامساك ، وفى بعض الحالات يعقب الامساك اسهال مع آلام فى البطن ، ويعقب الاسهال امساك وهكذا ، وفى الحالات الشديدة تكون الحمى مصحوبة بهذيان وفى الحالات الاشد يحدث فقدان للوعى . وفى بعض الحالات تتغير هذه الصورة ، وربما كان المرض خفيفا وتعترى المريض حمى طويلة الامد مع تلبك بسيط فى الامعاء ، تحير المريض كما تحير الطبيب بعض الوقت ، وفى النهاية بعد الفحص وعمل التحليـــلات اللازمة ، تكون حمى التيفود أو الباراتيفود . والوقاية أيضا فى هذه الحميات واجبة ، والابتعاد عن المأكولات التى لا يؤمن لها ، ولا يعتمد على أصحابها ، وحث أبنائنا على عدم شراء المثلجات التى تباع مع الباعة المتجولين ، والتى كثيرا ما تتعرض للتلوث بميكروب التيفود ، خصوصا من حامل المرض أو بتلوثها من الذباب .

ونصيحتى فى علاج المريض بحمى التيفود أن يكون بالمستشفى ، لأن هذا المرض يحتاج الى عناية خاصة ، من نواحى العلاج والتمريض بحيث لا تنتقل العدوى — وكذلك لكثرة حدوث المضاعفات ، وللتغلب عليها فى بادىء ظهورها خوف استفحالها — فلقد قابلت مرضى كثيرين يحبذون العـــلاج فى بيوتهم ، وما أضر ذلك عليهم وعلى من حولهم .

رابعا — ولعل الصورة تكتمل اذا ما طرح السؤال :

وماذا عن المرضى فى الصيف ؟

ونصيحتى لهؤلاء أنه من الواجب أن يتمتعوا باجازات فى الصيف ، ويبتعدوا عن الجو الحار ما أمكن ، لأن ذلك يساعد على تغلبهم على مثل هذه الامراض ،

— البقيـــة ص ٨٤ —

من ارشيف المحاكمات





ترجمها عن التركية : أبو ليلى

نبذة تاريخية :

فى ٢٥ كانون الاول لسنة ١٩٢٥ وضع كمال أتاتورك قانون الزى فى تركية ، وبموجب هذا القانون حرم لبس أى غطاء للرأس عدا القبعة وذلك تشبها بالغربيين . وتشكلت محكمة الاستقلال لمحاكمة كل شخص يعمل ضد النظام القائم .

ومن بين عشرات بل مئات الحوادث التى جرت فى هذه المحكمة نقدم نموذجا تاريخيا واحدا لاحدى هذه المحاكمات .

المنظر الاول :

(محكمة الاستقلال فى أنقرة .. رئيس المحكمة (كل على) (١) وأعضاء المحكمة فى أماكنهم . وفى قفص الاتهام نرى الشيخ عاطف أفندى . والتهمة الموجهة اليه هى نشره رسالة صغيرة يدافع فيها عن تستر النساء ويهاجم لبس القبعات . وهو يحضر الآن المحكمة بعد أن قضى عدة أشهر فى السجن .

والشيخ عاطف نشر تلك الرسالة قبل صدور قانون القبعات ، حتى أن بوليس الدولة كان آنذاك يتعقب بشدة الافراد القلائل من المسلمين الذين كانوا يلبسون القبعات . واستنادا الى قاعدة أن القانون الجنائى لا يسرى على ماسبق فقد كان من المستحيل توقيع العقوبة على الشيخ . وهذه الجلسة هى الجلسة الاخيرة اذ سيدافع الشيخ عن نفسه وستصدر المحكمة قرارها .

وفى ليلة اليوم السابق لهذه الجلسة كان قد حدث حادث غريب فى السجن . فقد كان الشيخ مسجونا مع المرحوم طاهر المولوى فى نفس الغرفة ، وبناء على اصرار طاهر المولوى يكتب الشيخ دفاعه ثم يرقد وينام . وفى الحلم يظهر له منقذ الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له : (لماذا كتبت دفاعا ..؟ ألا تحب أن تتعجل لقاءنا ؟) ويهب الشيخ من نومه والرعدة تسرى

فى أوصاله ويسرع الى تمزيق دفاعه ثم يتوضأ ويصلى . وبعد قليل يستيقظ طاهر المولوى ويشاهد قصاصات الاوراق على الارض فيتساءل : (ماذا فعلت ؟) فيخبره الشيخ بالرؤية ويبكيان معا .

والمحاكمة التي ذكرناها فى أول المقال تجرى فى صباح تلك الليلة .

رئيس المحكمة (مخاطبا الشيخ عاطف) : قف أيها المتهم .. ان التهمة الموجهة اليك هى أنك قد كتبت رسالة ضد لبس القبعة ، ان جريمتك خطيرة فماذا تقول ؟

الشيخ عاطف : لقد كتبت تلك الرسالة قبل صدور هـذا القانون لذلك فانني برىء .

الرئيس : ستنظر المحكمة فى ذلك . والآن أسرد دفاعك .

الشيخ عاطف : اننى برىء لذلك لا أرى حاجة للدفاع .

(علامات الحيرة والغضب لدى أعضاء المحكمة) .

الرئيس (مخاطبا المدعى العام) : يرجى بيان مطالبكم .

المدعى العام : أطالب بانزال عقوبة السجن بالمتهم .

الرئيس : تعطل الجلسة للمداولة .

(ينسحب أعضاء المحكمـة الى غرفة المداولة .. وبعـد فترة يعودون ويتخذون أماكنهم) .

الرئيس (يقرأ القرار بكل جبروت) : قررت المحكمة باتفاق الآراء اصدار حكم الاعدام على الشيخ عاطف المدرس فى مدارس فاتح وذلك لمعارضة القرارات الثورية لحكومتنا بكتابته رسالة ضد لبس القبعات .

(يخيم سكون كسكون الموت على قاعة المحكمة .. وقد تملكت الدهشة المدعى العام نفسه .. الجنود يخرجون الشيخ عاطف من المحكمة) .

الشيخ عاطف (بكل سكينة ووقار) : سيأتى يوم على الظالمين يقولون فيه (تا لله لقد آثرك الله علينا) .

□ □

المنظر الثانى :

منطقة (دارلوس) فى أنقرة .. من خلال الضوء الباهت للصباح الباكر تظهر منصة الاعدام على جانب الشارع المؤدى الى جامع (الحاج بيرام) .

يؤتى بالشيخ عاطف المحكوم عليه بالاعدام ، الى غرفة الانتظـار وقد ألبسوه قميصا أبيضا ويحضر معه كذلك الجلاد وشرطة السجن وبعض الموظفين العدليين يشدون يديه من الخلف ثم يعلقون على رقبته قرار حكم الاعدام ..

وتنتهى فترة الانتظار لتنفتح أبواب العالم الابدى وتقترب لحظة اللقــاء فتتحرك شــفاه الشيخ بدعاء خافت ثم يتقــدم ببطء نحو المنصــة ويرتقى درجاتها .

أحد الموظفين (بعد قراءة قرار الاعدام) : ما هى أقوالك الاخيرة ؟

الشيخ عاطف : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله .

يدفع الجلاد الكرسى الموجود تحت أقدام الشيخ عاطف .. يتدلى جسد الشيخ فى الهواء ويلتف الحبل المدهون حول رقبة الشيخ .

وفى هذه الاثناء يسمع صوت أذان الصبح من منارة جامع (الحــاج بيرام) :

ـــ الله أكبر .. الله أكبر ..

وجسد الشيخ يتدلى فى الضوء الباهت للصباح ، وتهب ريح خفيفة باردة محولة وجه الشيخ عاطف نحو القبلة .

وبخطوات وجلة وعيون ملأتهــا الدموع يشــاهد بعض المسلمين وهم يدخلون الجامع لأداء صلاة الصبح .

□ □

المنظر الثالث :

وتمضى السنون ويهرم (كل على) رئيس محكمة الاستقلال سابقا ويصاب بمرض عضال وينقل الى المستشفى .

(أمام غرفة الرئيس السابق للمحكمة يقف طبيبان شابان) .

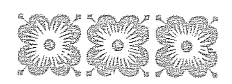
الطبيب الاول : الحقيقة أننى لا أستطيع بعد الآن الدخول الى غرفة هذا المريض .

الطبيب الثانى : ولمــاذا ؟

الطبيب الاول : أتمنى من الله أن لا يبتلى أحدا بمثل هــذا المرض اذ لم اشاهد طيلة حياتى مرضا بهذه الدرجة من الفظاعة والالم .. كم هو شىء مرعب يا الهى ..!! ان قاذوراته تخرج من فمــه .. المكان كله ملوث بالنجاســة وبالقاذورات .. والادهى من ذلك أنه لا يموت كى يستريح ، بل يتقلب بين النجاسة تحت وطأة آلام فظيعة ، ومن شدة آلامه يمزق الاغطية واللحاف . ان حاله من الفظاعة والفجاعة بحيث لا يستطيع أحد من المرضين أو الاطباء الاقتراب منه .

الطبيب الثانى : (يقترب من الباب ثم يفتحه بهدوء .. تسمع أصوات لهاث وصرخات تقشعر لها الابدان .. وتنبعث من الغرفة رائحة كريهة لا يمكن تحملها) اف .. لا أستطيع التحمل ..

(يبتعد الطبيبان بسرعة وهما يكادان يتقيآن) .



شريطة أن يداوموا على العلاج ، وأن يعطوا أجسادهم قسطا وافرا من الراحة وبذلك يكونون قد أدوا ما عليهم لأبدانهم، مصداقا لحديث رسول الله « ان لبدنك عليك حقا » ولعلنى أخص بالذكر المصابين بارتفاع فى ضغط الدم — ومرضى البول السكرى — ومرضى حصى الجهاز البولى .. ففى مرضى ارتفاع ضغط الدم ، خصوصا الذين تعرضوا لمضاعفات هذا الارتفاع من هبوط فى القلب او نوبات ذبحات صـــدرية ، أو التعرض لثقل فى اللســـان ، أو ضعف فى أحد الاطراف ، لا بد لهؤلاء من أن لا يعرضوا أنفسهم لجو شديد الحرارة ، وأن لا ينسوا علاجهم فى هذه الفترة الحرجة ، وان كان فى استطاعتهم قضاء اجازة فى جو معتدل فعليهم أن يقوموا بهـــا ، لأن فى ذلك ما يبعد احتمـــال حدوث المضاعفات الشديدة ، وما أحرى هؤلاء أن يتحلوا بالصبر ، وعدم الهياج لأتفه الاسباب ، لأن ذلك يعرضهم لهزات شديدة يرتفع بسببها الضغط — ولا يجهدوا أنفسهم ويجعلوا لهم نظاما خاصا وهو الاعتدال فى كل شيء ، مع الراحة بعد الوجبات والذهاب الى النوم مبكرا .

مرضى البول السكرى :

واعنى بذلك الذين يعانون من المرض لفترة طويلة — والذين يعـــالجون بكميات كبيرة من الانسيولين يجب على هؤلاء أن يراعوا بدقة الوجبـــات التى يتناولونها ، وكمية الأنسيولين — وتحليل البول باستمرار ، لأنه فى الصـــيف تقل الوجبات ويزداد تعاطى السوائل ، كما يجب عليهم أن يراجعوا طبيبهم عند حدوث أى مضاعفات أو تعرضهم لأمراض أخرى . ويا حبذا لو قضى هؤلاء فترة طويلة بعيدا عن الجو شديد الحرارة — ليقوا أنفسهم من المضـــاعفات الكثيرة التى تحدث فى مثل هذا المرض .

مرضى حصى الكلى ومجرى البول :

وهم يتعرضون فى الصيف لتكرار نوبات المغص الـــكلوى — لأن البول يتركز كثيرا بسبب العرق الغزير ، وتقل كمية البول مما يســـاعد على زيادة الترسب ، وحدوث حصيات جديدة ، والتعرض للالتهاب فى مجرى البول — لذا كان من الواجب على هؤلاء أن يشربوا السوائل بكثرة حتى يعوضوا ما يفقدون من عرق ويحافظوا على زيادة كمية البول وادراره ، وبذلك يتغلبون على حدوث حصى جديد .

ولكى نقضى صيفا ممتعا — متمتعين بالصحة والسعادة علينـــا أن نقى أنفسنا ونسمع لنصيحة أطبائنا ، تمشيا مع رسولنا الكريم حين يقول « تداووا فان الله قد خلق الداء والدواء » .



نجاسة الخمر

السؤال :

اثبتت بعض التجارب العلمية الحديثة أن (الخمر) عند تحضرها : تمر على عمليات كيميائية . تشبه الى حد كبير جدا العمليات الكيمائية التى يمر بها الطعام فى الجهاز الهضمى الى أن ينتهى بالفضلات (ألبراز) ما رأى الشرع أذن بعد هذه النتائج التحليلية فى نجاسة الخمر ؟

(حسين عبد الجليل ــ المحرر العلمى بجريدة البلاغ) .

الاجابة :

أجاب على هذا السؤال والذى يلية فضيلة الاستاذ مصطفى احمد الزرقا .

جمهور الفقهاء والمذاهب الأربعة متفقة على الحكم بنجاسة الخمر كالدم والبول ، لأن القرآن وصفها بأنها رجس وأمر باجتنابها ، ومعنى الرجس فى اللغة : القذر ، واستعمله القرآن فيما يجب الابتعاد عنه بتاتا ، وهذا يوجب فى نظرهم الحكم بنجاسة الخمر . والقذارة فيها اعتبارية للتنفير .

وهناك من الفقهاء والمجتهدين من يرى عدم نجاستها ، بحجة أن الآية الكريمة لا تدل على النجاسة ، لأن الأمر باجتنابها ، أنما يدل على التحريم ولا يلزم منه النجاسة ، بدليل انها قرنت فى الآية بالميسر والأنصاب والأزلام ولم يقل أحد منهم بنجاسة شىء من هذه الأشياء ، والميسر لعب لا يقبل الحكم بنجاسة ولا طهارة وأن كان حراما . كما أوضحه الامام النووى الشافعى فى المجموع (٢/٥٦٤) .

أما مراحل التفاعل الكيماوى التى يمر بها العصير الى أن يتخمر فلا عبرة له فى قضية النجاسة والطهارة التى مصدرها النص الشرعى ، ومهما كان هذا التفاعل فان التخمر فى نهايته لا يشبه تحول بقايا الطعام الى فضلات وبراز .

□ □

الطلاق لايقع

السؤال :

كنت أتحدث مع زوجتى بشأن لباسها وطوله وقصره (وهى والحمد لله تلبس الطويل جدا) فقلت : (ان تقصير اللباس بسببه يمكن الواحد يطلق زوجته) فهل يقع الطلاق بهذا اللفظ ، وقد ذكرته بشأن من يخالفون تعاليم الدين ويخالون أنه عقيدة فى الضمير دون تنفيذ الشريعة ! ..

(... — الكويت) .

الاجابة :

لا يقع بهذا الكلام طلاق وليس له تأثير ما بين القائل وزوجته ، لأن لايقاع الطلاق ألفاظا وشرائط لا تتوافر فى هذا الكلام . ومن أهم تلك الشرائط أن يقصد المتكلم التلفظ باللفظ الدال على أن المتكلم قد أوقع الطلاق على زوجه .

□ □

صندوق التوفير والادخار

السؤال :

١ — هل يجوز شرعا ايداع الاموال فى البنوك باسم القصر خاصة على سبيل التوفير والادخار ؟

٢ — هل يجوز شرعا للقاصر المميز سحب أمواله ؟

٣ — ما هى السن المحددة فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه التى يعتبر الصبى فيها مميزا عند بلوغها ، ثم يجوز له التصرف فى أمواله .

الاجابة :

١ — يجوز شرعا ايداع الاموال فى البنوك باسم القصر بشرط ألا يؤخذ عنها فائدة .

٢ — لا يجوز للقاصر أن يسحب بنفسه شيئا من هذه الاموال ، ولويه الشرعى الذى يحدد اسمه فى الاستمارة الخاصة بذلك أن يسحب منها ما يراه لازما لمصلحته .

٣ — السن التى يعتبر القاصر عند بلوغها راشدا ويجوز له التصرف فى أمواله هى ثمانية عشر عاما .

بريد الوعي الإسلامي

مفهوم عقوق الوالدين ، وصوره

قرأت في كتاب في (الكبائر) شرح كبيرة عقوق الوالدين والاحاديث الرهيبة المتصلة بها ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أعيش في حيرة بشأن بعض حقوق الآباء التي تعكر صفو حياة الابناء أو تبدو تجاوزا على حقوق وواجبات أخرى كما في الامثلة التالية :

مثال ١ : الجهاد ، كيف بمن يود القيام بهذه الفريضة بالرغم من منع والديه له ؟ وكيف التوفيق بين حديث (أحي والداك ففيهما فجاهد) وحديث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ؟

مثال ٢ : ما الحكم فيمن يعطي أبويه كفايتهما من النقود ومتطلبات الحياة ثم يطالبانه بالزيادة دون حوج ، وهو ذو عيال ، وعليه مسئوليات ، فهل يعد رفضه عقوقا .. وما المراد من حديث (أنت ومالك لأبيك) ؟

مثال ٣ : اذا كانت الزوجة تعامل والدي زوجها أحسن معاملة ويريد الابوان من الزوج أن يطلقها أو يتيح لهما السيطرة عليها أو يحرمها من المنزل المنفصل عنهما ، فهل يطلق الزوج امرأته ارضاء لأبويه وامتثالا لبعض الاحاديث التي تدعو الى ذلك ؟

آنسة ش. ص. السودان

أحلنا هذه الرسالة الى الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير موسوعة الفقه فتفضل بالاجابة التالية :

قرر الاسلام للوالدين حقوقا مادية ومعنوية أوجب على الولد رعايتها واحترامها وحسن أدائها ، وفي رأس حقوقهما المادية عليه أن ينفق عليهما اذا احتاجا ، وفي رأس حقوقهما المعنوية بره بهما في كل وجوه البر ، واجتناب عقوقهما في كل وجوه العقوق .

وان بر الوالدين يتجلى في فعل ما يرضيهما ويسرهما ، من طاعة لأوامرهما وتحقيق لرغائبهما في المعروف ، وأن عقوقهما يتجلى فيما يؤذيهما أو ينغصهما من قول أو عمل ، ويقول الفقهاء : ان الفعل السيىء يعتبر عقوقا اذا كان من شأنه أن يؤلم الوالدين (كسوء الادب معهما مثلا) وان لم يؤلم الوالد الذي أساء ابنه الادب معه لفرط محبته له وتولعه به ، والاخلال ببر الوالدين درجات : من المخالفة اليسيرة الى العقوق والايذاء الذي هو أيضا درجات متفاوتة .

هذا ، ولكن الشريعة الاسلامية من أبرز مزاياها أن تعاليمها تحفظ التوازن بين جميع الجهات الواجبة الاعتبار ، فهي لا تقبل أن تطغى رعاية نوع من الحقوق والواجبات على رعاية نوع آخر منها ، وميزان هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحادثة المشهورة : (ان لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك

حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه) الى نصوص أخرى كثيرة فى الكتاب والسنة الثابتة ، ففى ظل ذلك تقيد طاعة الوالدين شرعا بأن لا تكون فى معصية لله تعالى لقوله تعالى : ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) فهناك نصوص عامة ينبسط سلطانها على جميع آفاق الحقوق والواجبات فتضع لها حدودا ملحوظة تحفظ التوازن ، والشرع حقوق وواجبات متقابلة ، فكما أوجب على الولد بر والديه أوجب عليهما تسهيل هذا البر عليه وعدم ارهاقه فيه .

بعد هذا الايضاح للأصول أقول :

١ ــ فى الخروج الى الجهاد اذا أراد الولد الخروج وكان هناك من سواه من يغنى عنه ويسد مسده ووالداه أو أحدهما فى حاجة اليه لا ينبغى له أن يخرج ويتركهما ، فبقاؤه معهما من الجهاد لأن الجهاد يستدعى تخليف بعض المكلفين فى البلد والاهل ، وعلى هذا يحمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((ففيهما فجاهد)) .

أما اذا أصبح الجهاد فى بعض الاحوال واجبا عينيا عليه لعدم وجود من يسد مسده ، فليس خروجه عندئذ عقوقا ولا منافيا للبر وان لم يأذنا له .

٢ ــ ومن يعطى أبويه كفايتهما من النفقة ومتطلبات الحياة فقد أدى واجبه شرعا ، وان تطلبا شططا واسرافا فوق الحاجة المعروفة فليس واجبا عليه ، وان أراد أن يتطوع بالزيادة فذلك اليه ما لم يكن ذلك على حساب واجبات مالية أخرى عليه .

أما قول الرسول صلى الله عيه وسلم : (أنت ومالك لأبيك) فليس معناه التمليك فى نظر الفقهاء ، بل هو للتنبيه الى مبلغ حقوقهما وأن ما جناه من مال انما هو بفضل تربيتهما له حتى أصبح كبيرا قادرا مكتسبا ، فعليه أن يمتعهما بماله بسخاء .

٣ ــ اذا كانت الزوجة تعامل والدى زوجها معاملة حسنة وهما يكرهانها ويطلبان اليه تطليقها دون ذنب منها أو اساءة ، فليس عليه اطاعتهما لأن هذا منهما شطط واساءة وعدوان ، فلا يجوز له اطاعتهما فيه ، وما روى من بعض حوادث تاريخية فى صدر الاسلام بخلاف ذلك له تأويل آخر .

هذا ، وفى كل موطن مما لا يكلف الولد فيه باطاعة والديه فى معصية لا يجوز له الا الرفض برفق وحكمة دون اساءة لهما بالقول لأن المقصود يتحقق بعدم المجاراة لهما فى معصية وعدوان ، ولقول القرآن فى تتمة الآية السالفة الذكر : ((وصاحبهما فى الدنيا معروفا)) والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

شهداء اليرموك

شيع فى احتفال رسمى ستة عشر شهيدا من لواء اليرموك الكويتى استشهدوا فى معارك القناة .

بأقلام القراء

فى ذكرى معركة ((يونيو))

هذا هو حمانا

كتب الأستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان يقول :
النظرة الفاحصة لتاريخ الدول والحضارات ترينا أنه قد نزل بساحات الحق والمجد الكثير من الايذاء والبأساء ، ووقف الباطل بشتى صوره وأشكاله من طواغيت وأصنام وجاهلية وهوى وشهوات ونزوات فى وجه الحق الصراح ونبل مقصده وسمو هدفه وكريم غاياته ..

ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض حتى تربى العزائم الخائرة ، وتوجه النفسيات الهشة الى ما فيه تماسكها وصلابتها ، لأن المجتمع لا يخلو من مختلف البواعث مابين اقدام واحجام وعزم وتردد وهزة أمل ورعدة خوف ، ومن الخير لذلك المجتمع أن تظهر النفسيات على حقيقتها حتى يميز الله الخبيث من الطيب .
ولا شك أن الحق دائما هو المنتصر ولو بعد حين ، وأن الباطل زهوق مهما علا زبده ، وأن الليل لابد أن ينقشع مهما أرخى سدوله تحقيقا لقول الله تعالى **(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز)** .

ومعركتنا المعاصرة تحوى أكثر من معنى ، وتدل على أكثر من مغزى .. فهى أولا صراع بين الاسلام الخالد ومحاولة النيل فيه على أيدى طواغيت الشر والعدوان عموما ، وأولاد القردة والخنازير خصوصا ، وقد بدأ ذلك الصراع منذ نزل الحق تبارك وتقدس **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تمت الهجرة الى المدينة عمل جاهدا على جمع الشمل بين المسلمين بالمؤاخاة ، وعلى توحيد الصف ببسط يد السلام ليهود المدينة ، فعقد معهم معاهدة تاريخية كفلت للفريق الحرية وحسن الجوار والتعاون ، ولكن اليهود كما هو دأبهم نقضوا العهد والمواثيق فطهر المسلمون أرض المدينة وما حولها من رجسهم الى أن جاء عمر بن الخطاب فأجلاهم عن الجزيرة العربية تحقيقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام ((لايجتمع فى جزيرة العرب دينان))

ان الصراع الذى استحكم حتى سقطت اندلس الاسلام ، ولاقى المسلمون أقسى ألوان الظلم والعنت والاكراه ، وأصبح من مألوف المناظر أن ترى النواقيس تعلو شرفات المآذن ونعال الصليبين تطأ مواقع جباه المسلمين فى المساجد .

انه الصراع الذى كمن وراء الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر ، والتى كان مقصدها السيطرة المسيحية على العالم العربى حين احتل البرتغاليون البحار الشرقية ، واحتل الأسبانيون مغرب الوطن العربى كى يطبقوا عليه ويئيدوا فيه معالم الدين والحضارة الاسلامية .

انه الصراع الذى جمع جموع أوروبا لغزو الشرق الاسلامى تحت شعار الصليب الى أن قيض الله لتلك الأمة رجلا من رجالاتها حصدهم فى موقعة حطين .. انه صلاح الدين الذى طهر قدس الأقداس من شرهم وقال لهم اخرجوا ولن تعودوا .

ولكن خفايا الصدور مازالت تحترق حسدا وبغيا حتى جاء الحلفاء فى أوائل القرن العشرين ودخلوا بيت المقدس ، وقال اللورد اللنبى الانجليزى (الآن انتهت الحروب الصليبية .. !! ودخل قبر صلاح وقال عدنا يا صلاح الدين) .. !!

انه صراع عميق الجذور بين الاسلام وقوى الباطل كلها مهما تنوعت أو تشكلت **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** تلك هى الحقيقة رضينا أم سخطنا اعترفنا أم تجاهلنا .

ثانيا : معركتنا اليوم معركة شعب شرد ، وأرض سلبت وأعراض انتهكت ، ومقدسات ديست ودماء استبيحت **(ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ..)**

ففلسطين الجريحة تهيب بكل ذى ضمير أن يصحح للتاريخ مسيرته ، وينقذ العالم من قوانين الغاب التى لا يصدها غير القوة ، فالسلام بغير العدل استسلام ، والحق بغير القوة يتيم .

واستلهاما من واقع القضية الفلسطينية وصلتها الوثيقة بقيمنا ومبادىء ديننا أود أن أعرض وجهة نظر لاحت لى أمام بعض آيات من كتاب الله قال الله تعالى **(والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الامين)** . فهذه الآيات تمثل أطوارا من رسالات الله لخلقه التى توالت عليهم توضح فيهم الخير والفضيلة والجمال وترسم مناهج البر والفوز والفلاح .

فقوله سبحانه **(والتين والزيتون)** قسم من المولى ببقعة مباركة جرت فيها تفاصيل بعث الهى ، واعداد روحى لعبد الله ورسوله (عيسى) روح الله وكلمته ، تلك البقعة هى بيت المقدس الذى بارك الله حوله حيث ترتفع غصون الزيتون وتخفق رايات السلام ..

وقوله جل شأنه **(وطور سينين)** أو (وطور سيناء) قسم بهذا المكان

الطاهر تذكيرا بما كان عند الجبل من آيات ومعجـزات حيث كلم الله موسى تكليما ، وأنزل عليه التوراة وأخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون .

وقوله تباركت أسماؤه (**وهذا البلد الامين**) هو مكة المكرمة حيث تجدد الفكر الانسانى شبابه بعد بلى وانحلال وعادت للحضارة الانسانية قوتها بعد ركود واضمحلال ، وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى **النور** ..

وبعد فهذا قسم من الله العلى القدير بأماكن ثلاثة أشرق منها نور التوحيد على أيدى رسل أولى عزم .. محمد .. وعيسى .. وموسى ..

ونحن ـ المسلمين ـ أولى الناس بأنبياء الله ورسله لأننا ذوو عقيـدة صحيحة سليمة (لا اله الا الله) ولأننا نؤمن برسل الله ولا نفرق بين أحد منهم ، وكل من يدعى ايمانا برسول وينكر آخر ، ويجادل بالباطل فيزعم أنه موقر لذلك الرسول فهو مخادع (مأواه جهنم وبئس المصير) .

ونحن ـ المسلمين ـ أمناء الله فى أرضه نحمى المقدسات ونذب عنهـا ونعرف طهر مقصدها لأننا ذوو نسب عريق فى الحفظ والامانة ، فوجهتنا البلد الامين فى صلاتنا وحجنا تهفو اليه القلوب أينما كنا فى طهـارة حس وحلاوة نغم ، أضف الى ذلك أننا أتباع الامين محمد .. ولله در شوقى حين يقول :

يا جاهلين على الهادى ودعوته ... هل تجهلون مكان الصادق العلم

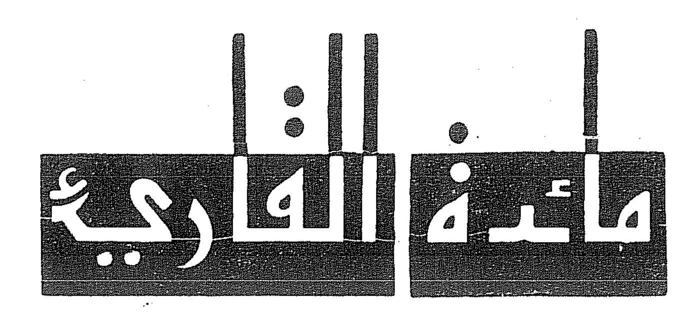
لقبتمـوه أمين القوم فى صـغر ... ومـا الامين على قـول بمتهـم

ان بيت المقدس وطور سيناء والبلد الحرام أماكن ثلاثة يجب أن يهيمن المسلمون عليها ليس تعصبا ، وانما حفاظا على المقدسات ذاتهـا ، وتأكيدا للسلام ، وتدعيمـا لأصوله ، فهو من قبيل وضـع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح ..

واذا كنا اليوم نرى المسلمين قد تقاعسوا حتى سلبت أرضهم وديارهم ، بل ومقدساتهم ، فانها لمأساة يعيشها الاسلام ويحياها المسلمون .

ان مسرى محمد .. ان مبعث عيسى ومولده ... ان مهبط الوحى وملتقى رسل الله .... أولى القبلتين يحتاج منا الى مزيد من الجهد والجهاد بشقيه الاصغر والاكبر ، ومزيد من اجتماع الكلمة والالفة ومزيد من التعاون والنصرة ولا يمكن اذا اجتمعنا اليوم على هدى من الايمان بالله والاعتصام بحبله أن نعجز عن فلسطين عربية مسلمة (**وكان حقا عليه نصر المؤمنين**) .

وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ونردد على قيثارة الايمان النشيد القومى الاول : الله أكبر .. الله اكبر كبيرا .. والحمد لله كثيرا .. لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده .



اعدها : أبو نزار

ان الـــذين كفروا ينفقـــون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تـــكون عليهـــم حسرة ثم يغلبون .
صدق الله العظيم

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال : يا رسول الله أقاتل ، أو أسلم ؟ فقال : أسلم ، ثم قاتل ، فأسلم ، ثم قاتل ، فقتل فقال رسول الله : عمل قليلا ، وأجر كثيرا .

ـــ حديث متفق عليه ـــ

سنمـــار

زعموا أن سنمار وهو رجل رومى بنى للنعمان ابن المنذر قصرا ، فلما أتم بناءه على احسن وجه ، رضى النعمان عنه ، ولكنه اشفق ان يبنى لغيره من الملوك مثل ما بنى له ، فامر به فالقى من أعلى القصر ، فاندقت عنقه ، فمات .

والناس يضربونه مثلا لمن يقدم الى الناس خيرا واحسانا فيجزونه بالشر والمساءة .

وفى الدنيا كثيرون يمكن أن يسمى كل واحد منهم سنمار ، ولكنه يلقى من حالق ، فلا تندق عنقه لانه لا يبنى لاصحاب السطوة والبأس ، وانما يبنى للشعوب ، ولا يبنى للشعوب دورا ولا قصورا ، وانما يبنى لها عقولا ويزكى لها روحا ، وينبـــه فيها وعيا .

رسالـــة

قال التلميذ لاستاذه : ألا تنبئنى عن كلمة (الرسالة) هذه التى يلوكها كل انسان حين يريد أن يعبر عن المهمة ، فللكاتب رسالـــة ، وللشاعر رسالة ، وللعالم رسالة ، ولصاحب السياسة رسالة ، وما أعرف أن اللغة تؤدى بكلمـــة (الرسالة) هذا المعنى الجديد ؟ !

قال الأستاذ : هذه كلمة أذاعها فى لغتنا الحديثة مزاج من الجهل والغرور : الجهـــل باللغة العربية ، والغرور الذى يخيل الى كل انسان أنه نبى قد أرسله الله برسالة يعـــلم بها الناس شيئا ، أو يحدث بها فى النـــاس حدثا ، واذا اجتمع الجهل والغرور على أمة رفعاها الى أكثر من الخطأ اللغوى واستعمال الألفاظ فى غير مواضعها .

حـــلة

هم أحد الأمراء أن يهدى الى أحد ندمائه خلعـــة نفيسة ، ثم غضب عليـــه قبل أن تبلغـــه الهدية ، وكان النديم طويلا فى السماء . عريضا فى الفضاء وقد أراد الامير ان يغيظه ، فأهـــدى خلعتهالى نديم آخر ، وكـــان قصيرا لا يكاد يرتفع عن الارض ، وضيقا لا يكـــاد يشغل من الفضاء الا حيزا ضئيـــلا .

ولبس النديم القصير الخلعة جذلان راضيا ، فلما دخل فيها ضاع بين ثناياها لأنها لم تفصل على قده ، ودخل على الامير فلما رآه وحاشيته ضحكوا ، وأما النديم فـــلم يشك فى أن الخلعـــة خلقت لـه ، وأما الناس فجعلوا كلما رأوه يشيرون اليه ، ويقول بعضهم لبعض : أنظروا اليه انه يرفـــل فى حـــلة فـــلان .

تقدير الأعمار

لماذا تعيش سمكة الشبوط (١٥٠) سنة
ولا يعيش الحصان القوى حتى يبلغ الأربعين

لماذا يزيد عمر الببغاء على عمر النعامة ؟
لماذا يزيد عمر السلحفاة على عمر الحوت ؟
لماذا تعيش شجرة من النبـــات (٣٠٠٠) سنة ، ولا يعيش نبات آخر بعد عامـه الذى يثمر فيـه ...
سر ذلك عند ربى سبحانه !!!

مائدة عجيبة

وصف رجل مائدة أحد الأثرياء البخلاء فقال :

شبر فى شبر ، وصحفة مـن قشر الخشخاش ، وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة ، وبين اللون واللون فترة .

قيل له : فمن يحضرهـا ؟ قال : الكرام الكاتبـون .

العجــوز المتصــابية

الا انمـا أم الحماقـة مـن غـدت
بما ادهنت تلقى على عمرهـا سترا
فيحسبها من رآهـا طفلـة الصبـا
ويا ربمـا كـانت كجدتـه عمـرا

نفــط .. ويه

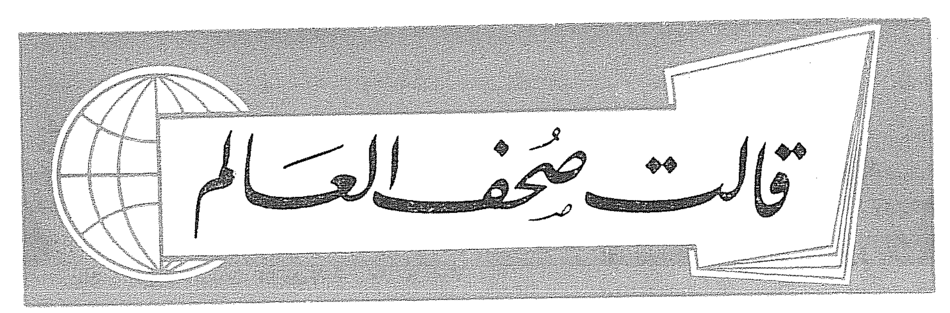
اشتهر رجل اسمه (نفطويه) بالفسق فقال فيه أحد الشعراء :
مـن سره الا يـرى فاسـقا
فليجتهـد الا يـرى نفطويـه
احرقـه اللـه بنصف اسـمه
وصـير الباقى صراخـا عليـه

سخريـة

قال رجل لجحا : اتحسـن الحساب باصبعـك ؟
قال : نعـم .
قال : خذ مدين من قمح ، فعقد جحا خنصره وبنصره .
فقال : وخذ مدين من شعير ، فعقد السبابة وابهامه ، وأقام الوسطى .
فقال الرجل : لم اقمت الوسطى ؟
قال جحا : لئلا يختلـط القمـح بالشعير .

أعمى يقتل بصيرا

ـ قتل أعمى بصيرا ، ونشرت الصحف نبأ الجريمة ، فاستغل احد الادباء هـذا الخبـر ، وعلق عليه بما يلى :
اذا أصبح الامى محررا ، والاعمش مصورا ، وأصبح الوزير شاكيا ، والمغنى باكيا ، واصبح القاضى محتالا ، والوصى مغتالا ، وأصبح العالم مخرفا ، والجاهل مؤلفا وأصبح الاجنبى مدللا والوطنى مذلـلا ، وأصبح مديـر المعارف اعجميا ، ومفتش المدارس عاميا ، وأصـبح عميد الشيطان يتعبد ويتهجد ، واسم المسلم (خريستو) بعد أحمد ،وأصبح الدعى حسيبا ونسيبا ... فليس من غريب المقادير ان يفتك الأعمى بالبصير .



يقظـــة اسلامية رائعـــة ..

نشرت مجلة « دعوة الحق » المغربية فى افتتاحيتها كلمة قالت فيها :

لقد أصبحنا اليوم هدفا يرمى ، وغرضـــا تسدد اليه الضربات ، ومجـــالا حيويا لامتصاص ثرواتنا ومقدراتنا ، ومرمى طبيعيا ومقصودا للحضارة الغربية التى فاجأتنا بالغزو الاستعمارى ، بعد أن تآمرت على بلداننا ، فاقتسمتها ... وأجهزت عليها ، وأوقفت تقدمها ، وشوهت أمجادهـــا ، وأضعفت شوكتها ، وطمست معالمها حتى أصبح الاسلام ، كما قال الامام الشيخ محمد عبده محجوبا بالمسلمين !!

واذا كانت الدول الاستعمارية قد أجلت جنودهـــا ، وسحبت جيوشها ، فان هناك ما هو أخطر وأدهى ، وأفتك وأنكى .. انها ما زالت تعبىء قواهـــا الضارية للعمل على مسخنا ، وتحويلنا عن متجهنا بما تستخدمه من قوانين ونظم ودساتير فى حكمها لنا ، وتوجيه سياستنا وبما تؤسســــه من مدارس التبشير ومؤسساته وأجهزته بعد أن أخرجت جيوشها العسكرية المرئيـــة المسموعة ، وأبقت الجيوش الحضارية فكرا وأخـــلاقا .. فوقع العـــالم الاسلامى فى بلبلة وتناقضات لا أول لها ولا آخر ..

ولئن كان بعض الفلاسفة المعاصرين المنصفين اليوم ، ينشدون التعاون العالمى والوسائل التى يمكن أن تحققه ، فان الاســـلام قد حقق للانســـــانية مجدها ، وأشبع رغباتها وأشواقها وتطلعاتها ، وأعلى مكانتها وحققت تعاليمه الخير كله للعالم يوم كانت الشـــعوب سادرة فى غلوائها تهيم فى ظلمات الجهل والضــــلال ..

ولقد امتاز القرن العشرون ، رغم ما أصـــاب المســـلمين فيه من محـــن وضـــــغوط ، واستبداد واستعباد بتنبيه وعى المســـلمين فى كـــل مكان الذين استيقظوا من سباتهم وغفلاتهم ، وتحقيق استقلال البلدان الاسلامية والعربية ، والافريقية والآسيوية التى فكت عنها قيود عقـــالها ، وتحررت من اسارهـــا ، بفضل زعماء الاصلاح الذين أيقظـــوا راقد العزم ، وأرصـــدوا الأهبة للبعث والتطوير ، فكان لهم الفضل الأكبر فيما ظهر فى هـــذا القرن من اصلاح دينى ، وتجديد أخلاقى ، وتطور اجتماعى .. وكذلك بفضل الدعـــوات المتكررة التى تدعو المســـلمين الى أن يتسلحوا بالتقنية والعـــلوم الحديثة ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال التام الذى يتشخص فى الاكتفاء الذاتى ، وتطوير العقليـــة لهضم مفاهيم الحياة المتطورة المتجددة ، وامتصاص متطلباتها ومستلزماتها فى نطاق الاخلاق والدين والضمير مما يدفع بهم الى حياة حرة طليقة تتضوع بأريج السعادة الراضية ، وتنتشىء باستقلال تام ناجز ..) ..

ان العالم الاسلامى ، كما هو معلوم ، يزخـــر بطاقات بشرية راقية .. ويفيض بثروات مادية كبرى فى أرضه وسمائه ومائه الى جانب ثرواته الروحية العظيمة التى لا تتم السعادة والرخاء الا بها ..

وما أجدره بهذا كله أن يستعيد عزته وكرامته ، ويتبوأ مكانته فى المعمورة اللائقة به ، وعندئذ يشهد العالم كله نهضـــة العالم الاسلامى التحررية الباعثة على الاعجاب والاجـــلال حيث يكون لها ، باذن الله ، تأثير حاســـم فى تقرير مصير العـــالم ..

يوم النكســـــة

ومن مقال بهذا العنوان كتبت (مجلة البيان الكويتية) تقول :

ان الصهيونية العالمية تلعب اليوم لعبتها عندما شعرت بأن هناك أصواتا لدى الرأى العام العالمى بدأت ترتفع ضد المجازر التى ترتكبها اسرائيل ، وضد الاجـــراءات الوحشية التى تعـــامل بها المدنيين الآمنين فى فلسطين ، وضـــد تعسفها واحتـــلالها المزيد من الاراضى العربيـــة ، بالرغم من قرارات الهيئـــة العالمية ، وضد امتناعها عن الانسحاب من هذه الأراضى المغتصبة .

وهذه الأصوات التى ارتفعت فى العالم لا تمثل الحكومات بأى شكل من الأشكال ، ذلك لأن الحكومات مسخرة ومنقادة للصهيونية العالمية ، نقول عندما شعرت الصهيونية بأن بعض الناس فى أوروبـــا وفى أمريكا بدأوا يفيقون على حقيقة امتصاص هذه الأصوات التى بدأت تتحسس أخطارهم وترتفع ضدهم ، وضد مؤامراتهم على العالم ، فأخذ زعيمهم (ناحوم جولدمات) ، ينتقد سياسة اسرائيل المتصلبة وأخذ مثقفوهم المختارون يسيرون على نهج زعيمهم الصهيونى ينتقدون اسرائيل علنا حسب الخطة الموضوعة بل ان اسرائيـــل نفسها نظمت مظاهرات فى اسرائيل ضد حكمها تحمل بعض الشعارات المزيفة ضد اسرائيل لخداع الرأى العام العالمى ، ولامتصاص تلك الأصوات فى أوروبا وفى أمريكا التى بـــدأت ترتفـــع ضدهـــم وقبـــل أن يســـتفحل الأمـــر راح زعيمهـــم « ناحـــوم جولدمـــات) وبعض مثقفيـــهم ينتقـــدون اسرائيل علنـــا ، عندما أحســـوا أن الصلف والعجـــرفة والكبرياء والبطش ، لم يؤد الى ركوع العرب وخضوعهم، وانما أدى الى صمود العرب، وتصميمهم على تحرير أراضيهم المغتصبة كل ذلك أدى بهم الى القيام بهذه اللعبة للتنفيس عن اسرائيل من النقمة التى أخذت تزداد ضدهـــا ، حيث راحوا يطلبون من اسرائيل أن تخفف غلواءها ، وراحوا يتقربون بكلمات معسولة مضللة أمام الرأى العام الى العرب ، ويدعونهم الى الحوار والتفاهم والتعايش مع اسرائيل ، متناسين المجـــازر التى ارتكبتها اسرائيل ضدهم ، والمآسى التى اقترفتها فى حق الأبرياء من الشيوخ والنســـاء والأطفـــال .

والذى نعرفه ويعرفه العالم ان الصهيونية العـــالمية ، تسير دائما وأبدأ على خطين متناقضين لتحقيق مآربها ، وهـــا نحن الآن نشاهد ونرى هـــذين الخطين متمثلين فى اسرائيل والصهيونيـــة العـــالمية التى تمثل اليهود خـــارج اسرائيل ، ان اسرائيل تتصلب وتتعنت ضد العرب ، وأمام الرأى العام العالمى ، والصهيونية العالمية تنتقد اسرائيل فى تصلبها وتعنتها هذا ، ويحاول مثقفوهـــا وزعيمها فتح حوار مع العرب ، أمام الرأى العام العـــالمى ، والكل يعمل لهدف واحد ، وحسب مخطط واحد ، والا هل يعقل أن يقوم زعيم الصهيونية (ناحوم جولدمان) بتوجيه الانتقاد الى اسرائيل التى قامت على جهوده وجهود أمثاله من الصهيونيين فى شتى انحاء العالم ؟



اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تبرع سمو أمير البلاد المعظم بمبلغ ستة آلاف دينار تشجيعا لجمعية الجنوب والخليج العربى التى تشرف على اقامة وتعليم أبناء الخليج .

● رفع معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية تقريرا الى سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد عن زيارته للمراكز الاسلامية فى بلجيكا وايطاليا ولندن وقد نقل الى سموهما اشادة رؤساء المراكز بجهود الكويت فى نشر الاسلام .

● احتفل فى يوم السادس عشر من مايو الماضى بالذكرى السابعة لقبول الكويت عضوا فى الامم المتحدة ، وقد تلقى سمو أمير البلاد المعظم تهنئات من بعض رؤساء الدول .

● زار البلاد سمو ولى عهد رأس الخيمة وقد صرح بأن الاراضى والمياه التابعة لرأس الخيمة ملك للشعب وستبقى ملكا له ونطلب من الكويت أن تحافظ على أمن منطقة الخليج واستقراره .

● تسلمت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مبانى مدينة الحجاج بالصليبخات وستستضيف المدينة الحجاج المارين بالكويت بدون مقابل وتتسع لـ ٧٠ ألف حاج وقد تكلفت ربع مليون دينار كويتى .

القاهرة : أعلنت الميزانية الجديدة لعام (٧٠ — ١٩٧١) وتحتوى على مبلغ ٥٥٠ مليون جنيه للدفاع والأمن وهى أكبر ميزانية عسكرية فى تاريخ مصر .

● أحال الدكتور عبد العزيز كامل نسخة من المصحف المطبوع فى ألمانيا الغربية الى لجنة المصاحف بالأزهر ، وتبين أن به ثمانية أخطاء .

● تقرر تشكيل مجلس وكلاء للأزهر يضم كلا من الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد بيصار وعدد من كبار رجالات الأزهر .

● أنهى المجلس الوطنى الفلسطينى مؤتمره فى الشهر الماضى وقد قرر تشكيل لجنة مركزية تضم جميع منظمات المقاومة ، وتأليف قيادة موحدة فى جنوب لبنان ، ومطالبة الدول العربية بما تخصمه من رواتب الفلسطينيين العاملين فيها .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل بزيارة الى ماليزيا وافغانستان وأندونيسيا والجزائر حيث أجرى مع رؤسائها مباحثات استهدفت تقوية التضامن الاسلامى .

● أقامت كلية الفيصل الجوية احتفالا فى الشهر الماضى حضره جلالة الملك فيصل وذلك بمناسبة تخريج الدورتين الاولى والثانية من الطيارين السعوديين .

● توالى المملكة دراستها لمشروع تنظيم ذبح وحفظ الاضاحى ويتكلف ٩٦٫٥ مليون ريال سعودى ويستغرق تنفيذه ٣ سنوات .

الاردن : لفتت الحوادث الأخيرة التى جرت بين القوات الاردنية والفدائيين أنظار العالم الاسلامى ، وقد ناشد زعماء المسلمين الفريقين التكاتف ضد العدو الصهيونى .

● ذكرت مجلة ((فتح)) أن خبراء الأسلحة فى المنظمة بدأوا فى انتاج القنابل اليدوية وبعض الأسلحة الصغيرة كما أنتجوا صواريخ مضادة للدبابات وصواريخ تماثل صواريخ كاتيوشا تلائم الحرب المحلية .

● أصدر الهلال الأحمر الفلسطينى بيانا فى الشهر الماضى ذكر فيه أن اسرائيل قتلت ٢١

من رجال المقاومة بصور وحشية حيث أجهزت علـى بعض الجرحى وعلقت البعض الآخر فى طائرات الهليكوبتر .

العراق : نعى العراق الى العالم الاسلامى الامام العلامة السيد محسن الحكيم .. والوعى الاسلامى تشارك المسلمين ترحمها على الامام الفقيد .

لبنان : صرح الرئيس الليبى أثناء زيارته للبلاد بأنه سيمد الجيش اللبنانى بالأسلحة .

ليبيا : قام العقيد معمر القذافى بجولة فى عدد من الـدول العربية للعمل على تجميع الجهود العربية فى الصراع مع الصهيونية .

● تم جلاء آخر جندى أمريكى بعد احتلال دام قرابـة ١٥ عاما .

تونس : أقيم فى مايو الماضى أول معرض للخط العربى فى المغرب العربى تحت اشراف وزارة الثقافـة التونسية .

المغرب : اتفق الرئيس الموريتانى والملـك المغربى علـى تصفية الاسـتعمار فى الصحراء الاسبانية وعلى العمل المتعاون بين البلدين فى شتى المجالات .

● قام المندوب المغربى فى الامم المتحدة بتوجيه نداء فى مجلس الأمن الى أمريكا باسم البلدان العربية وقد قال فى ندائه ان قرارا تتخذه واشنطن بتسليم أسلحة الى اسرائيل سيكون من شأنه أن يؤدى الى تغيير العلاقات بين أمريكا والدول العربية .

الجزائر : أكد وزير الخارجية الجزائرى أن الجزائر — على الرغم من بعدها الجغرافى — تعتبر نفسها ملتزمة التزاما كاملا تجـاه الدول العربية فى الشرق الأوسط .

تركيا : أصدر الرئيس التركى والباكستانى وشاه ايران بيانا عقب مؤتمرهم فى أنقره طالبوا فيه بانسحاب اسرائيل من الأرض العربية كما بعثوا برقية بهذا الشأن الى أمين عام الامم المتحدة .

ايـران : أعلنت وكالة الغوث الدولية أن ايران تبرعت بثمانية آلاف دولار زيادة على تبرعها السنوى الذى يقدر بثمانية أخرى نظرا للظروف الصعبة التى تمر بها الوكالة .

● قام وفد ايرانى بزيارة الى البحرين لتوثيق عرى الصداقة بين الـدولتين وهذه هى أول بعثة ايرانية رسمية منذ ١٥٠ سنة .

● صرح أردشير زاهدى رئيس الوزراء الايرانى أن العرب ليسوا وحـدهم فى النزاع مع اسرائيل فهناك ٧٠٠ مليون مسلم يقفون معهم .

باكستان : بعث الرئيس الباكستانى بمذكرة الى الهند يطلب موافقتها على زيارة ممثل باكستانى لمناطق الاضطرابـات بين المسلمين والهندوس .

● أصدرت الجماعة الاسلامية فى باكستان بيانا بمناسبة الانتخابات ضمنته المبادىء التى تراها لتقدم باكستان على أساس الاسلام كنظام شامل للحياة وكأساس لوجود باكستان .

ماليزيا : تقرر تعيين الأمير تنكو عبد الرحمن أمينا عاما للأمانة الاسلامية العامة الى جانب عمله رئيسا لـلوزراء ماليزيا وسينتقل مقر الأمانة بعد ذلك من ماليزيا الى جدة .

الهند : صرح مفتى جمون وكشمير أن تعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين تدخل فى الدين ، وحث الحكومة على عدم المساس بمشاعر المسلمين تحت ضغط العناصر الطائفية المعادية .

● عقد فى دلهى فى الشهر الماضى مؤتمر ضم جميع زعماء الأحزاب والحـركات الاسلامية لدراسة الأوضاع الناتجة من الاضطرابات الطائفية .

ترينداد : أعلن حوالى ٣٠ شخصا اسلامهم ايمانا بعـدالة الاسلام ومساواته وقد أعلنت الهيئات الاسلامية فى ترينداد تأييدها للقضية العربية الاسلامية فى فلسطين وادانتهم للعدوان الصهيونى .

نيجيريـا : أقيم مسجد كبير فى مدينة كانو وقد حضر حفل افتتاحه يعقوب جوون زعيم نيجيريا وعدد من الـوزراء وكبار رجال الـدولة .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الرجل السعيد

عفيفُ الجهرِ والهمسِ   قَضى الواجبَ بالأمسِ
ولم يعرِضْ لذي حقٍّ   بنقصانٍ ولا بخسِ
وعند الناسِ مجهولٌ   وفي ألسُنِهِمْ مَنْسِي
وفيه رقةُ القلبِ   لآلامِ بَني الجنْس
فلا يَغْبِطُ ذا نُعمى   ويرثي لأخي البُؤس
وللمحرومِ والعافي   حوالى زاده كرسي
وما نمَّ ولا همَّ   ببعضِ الكَيدِ والدَّسِّ
ينامُ الليلَ مسروراً   قليل الهمِّ والهجْس
ويصبحُ لا غُبارَ على   سريرته كما يُمسي

◆◆◆◆◆

فيا أَسعدَ من يَمشي   على الأرضِ من الأنسِ
ومن طهرهُ اللهُ   من الرِّيبةِ والرجْسِ
أَنلْ قذْرِيَ تشريفاً   وهبْ لي قُربَكَ القُدْس
عسى نَفْسُكَ أن تدمج في أحلامِها نفسي
فألقى بعضَ ما تلقى   من الغِبطَةِ والأُنس

أمير الشعراء

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت